Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.34/ No.6/ 2026 المجلد ٣٤/ العدد٦/٢٠٢٦

جدليةُ السِّلمِ والحربِ في شعرِ ابنِ نُباتة السَّعديِّ (٤٠٥هـ)

مروة فوزي محمد صالح
كلية الآداب /جامعة الموصل
marwa.fawzi@uomomsul.edu

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٦/١/٢٢ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٦/٢/٨ **تاريخ نشر البحث:** ٦/٢٦/ ٢٠٢٦

المستخلص:

تُعدُّ جَدَلِيَّةُ السِّلْم وَالحَرْب في شعْرِ ابْنِ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ (ت ٤٠٥ ه) من الأنساق الموضوعية الَّتي شَغَلَتْ الشِّعْرَ في الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ، لِمَا تمثِّلُه منْ صورة لغوية للْحَيَاة الْوَاقعيَّة وتَقَلُّبَات الْمُجْتَمع سياسيًّا واجْتِمَاعيًّا، وقَدْ كَانَ ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ، وَاحِدًا منْ الشُّعَرَاء الذين برزَتْ قَضِيَّةُ الْجَدَلِيَّة في مُنْجَزِه الشِّعْرِيّ، بوصْفِها رُؤْيَة جوْهَرِيَّة تتجاوَز الْوَصْف الْعَامَّ إِلَى بِنَاء فكْرِي وأَخْلَاقِيّ، إذ تمتزج في شعْرِه صُور الحَرْب بِمَا فيهَا منْ قتَال، وفُرُوسِيَّة وصراع، وتَصْوِير للأسْلِحَة وسَاحَات المعْرَكَة، بصُورَة السِّلْم الَّتي تسْتَدْعِي الْهُدُوءَ وَالطُّمَأْنِينَةَ وَالاسْتِقْرَارَ وَالْبِنَاء والأمَانَ، ويُعدُّ هذا التَّدَاخُل الفكريُّ مَنْظُورًا فَنِيا يعْكِسُ وَعْي الشاعرِ وَإِدْرَاكه بِضَرُورَة التَّوَازُن بَيْنَ قُوَّة الْحَرْب وَآلَاتهَا وَحكْمَة السِّلْم وكَلِمَتُه.

الكلماتُ الدالة: الجدليةُ، السِّلْمُ، الحربُ، الصراعُ، القتالُ.

The Dialectic of Peace and War in the Poetry of Ibn Nubāta al-Sa'dī

Marwa Fawzi Muhammad Ṣāliḥ
College of Arts / University of Mosul

Abstract:

The dialectic of peace and war in the poetry of Ibn Nubāta al-Saʿdī (d. 405 AH) is regarded as one of the thematic and cultural patterns that occupied poetry in the Abbasid era, as it represents a linguistic image of real life and the political and social fluctuations of society. Ibn Nubāta al-Saʿdī was one of the poets in whose poetic production this dialectical issue prominently emerged, as a fundamental vision that goes beyond mere general description to an intellectual and moral construction. In his poetry, images of war-with their fighting, chivalry, conflict, and depiction of weapons and battlefields—intermingle with images of peace that evoke calmness, reassurance, stability, construction, and security. This intellectual interpenetration constitutes an artistic perspective that reflects the poet's awareness and his perception of the necessity of balance between the power of war and its instruments and the wisdom of peace and its word.

Keywords: Dialectic, Peace, War, Conflict, Fighting

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المقدمة:

تُوضِحُ قِراءَةُ شِعْرِ ابْنِ نُباتَةَ السَّعْدِيّ أَنَّ السِّلْمَ وَالْحَرْبَ لَيْسَتا ثُنائِيَّةً ضِدِّيَّةً مُتَقابِلَةً، بَلْ هُما وجودٌ مُتلازمٌ في شَخْصِيَّةِ البطَلِ في الْقَصيدَةِ الْواحِدَةِ، وَالْحَرْبُ لَيْسَتْ مَعْرَكَةً فقط بَلْ تَجْرِبَةً حَقيقَةً لِصُنْعِ الأَمْجادِ وَتَخْليدِ الْبُطُولاتِ في حِينِ يَكُونُ السِّلْمُ غايَةً مُبْتَغاةً تَحْفَظُ ما يُبنَى بِالْحَرْبِ، وتُعيدُ التَّوازُنَ السِّلْمِيّ لِلْمُجْتَمَعِ، فَتَنْشَأُ جَدَلِيَّةٌ عَمِيقَةٌ تجْعَلُ السِّلْمَ امْتِدادًا لِلْحَرْبِ، وَالْحَرْبَ وَسيلَةً لِحِمايَةِ قيمِ السِّلْمِ، في رُؤْيَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْلاقِ وَالسِّياسَةِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمانِ. وَتَسْتَنِدُ فِكْرَةُ الْجَدَلِيَّةِ عَلَى حَرَكِيَّةِ التَّغَيُّرِ وَالتَّطَوُّرِ بِالصِّراعِ أَوْ التَّناقُضِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَيُعَدّ التَّناقُضُ مُحَرِّكًا أَساسِيًّا لِلتَّغْيِيرِ، لِلْوُصُولِ إِلَى فَهْمِ الوُجُودِ وَالْبِيئَةِ وَالْفِكْرِ الانساني، إِذْ يَقُودُ الصِّراعُ إِلَى التَّطَوُّرِ وَالتَّقَدُّمِ وَالرُّؤْيَةِ المَنْشُودَةِ.

وَالْجَدَلِيَّةُ في سِياقِها اللُّغَوِيّ مُشْتَقَّةٌ مِنْ(الْجَدَلِ) الَّذي يَعْني شِدَّةَ الْخُصُومَةِ[١١/١٠٥]، بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَتَعْني الْحِوارَ وَالْمُناقَشَةَ الْمُتَفاعِلَةَ بَيْنَ ضِدَّيْنِ أَوْ نَقيضَيْنِ؛ وَهَذِهِ الْمُناقَشَةُ تَكُونُ فَاعِلَةً وَمُتَغَيِّرَةً وَمُتَحَرِّكَةً، مِثْلُ: جَدَلِيَّةِ السِّلْمِ وَالْحَرْبِ، وَالْحَياةِ وَالْمَوْتِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ والقوة والضعف. و(الْجَدَلِ وَالْجَدَلِيَّةِ) عِنْدَ الْفَلاسِفَةِ الْيُونانِيِّين، هي الْمُناقَشَةُ وَالاسْتِدْلال. وَعِنْدَ الفيلسوف سُقْراط: "مُناقَشَةٌ تَقُومُ عَلَى حِوارٍ وَسُؤالٍ وَجَوابٍ"[٢:ص٥٩]، أَمَّا أَفْلاطُون تِلْمِيذُ الْفَيْلَسُوفِ سُقْراط فَقَدْ اسْتَخْدَمَ الْجَدَلَ بِطَرِيقَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ؛ إِذْ جَعَلَهُ طَرِيقَةً لِلصُّعُودِ إِلَى عالَمِ الْمُثُلِ، وَيَرَى أَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ "الارْتِقاءُ مِنْ تَصَوُّرٍ لِلْوُصُولِ إِلَى أَعَمِّ التَّصَوُّرات"[٣:ص٣٩٢]؛ وَعَدَ أَرسطُو الْجَدَلَ "وَسَطًا بَيْنَ الْأَقاوِيلِ الْبُرْهانِيَّةِ، وَالأَقاوِيلِ الْخَطابِيَّةِ"[3]. وَقَدْ ارْتَبَطَتْ الْجَدَلِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ الْأَلْمانِيّ كانط(ت١٨٠٤م) بِمَفْهُومِ الْجَدَلِ الصُّورِيِّ أَوْ الْجَدَلِيَّةِ الْمُتَعالِيَةِ، وَتَعْنِي "دِراسَةَ الْأَوْهامِ الَّتِي يَقَعُ فِيها الْعَقْلُ وَيَتَجاوَزُ حُدُودَهُ الْمَعْرِفِيَّةِ التَّجْرِيبِيَّةِ، وَيُحاوِلُ اسْتِخْدامَ مَفاهِيمِهِ بِصُورَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ فِي مِيتافِيزِيقا بِلا أَساس"[٤:ص٣٨٢]، وَأَدْرَكَ الْفَيْلَسُوفُ الْأَلْمانِيُّ هِيجَل(ت١٨٣١م) أَنَّ الْجَدَلِيَّةَ "انْتِقالُ الذِّهْنِ مِنْ قَضِيَّةٍ وَنَقِيضِها إِلَى قَضِيَّةٍ ناتِجَةٍ عَنْهُما، ثُمَّ مُتابَعَةُ ذَلِكَ حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْمُطْلَقِ"[٢:ص٦٠]، فَيَتَعَلَّقُ مَفْهُومُ الْجَدَلِيَّةِ بِالْمَعْنَى الْفَلْسَفِيّ الْقائِمِ عَلَى التَّفاعُلِ وَالتَّداخُلِ بَيْنَ الْأَضْدادِ وَالْمُتَناقِضاتِ، وَيُسْتَخْدَمُ فِي تَحْلِيلِ الظَّواهِرِ الاجْتِماعِيَّةِ وَالْفَلْسَفِيَّةِ؛ فَيَنْشَأُ الْحِوارُ بَيْنَهُما أَوْ الصِّراعُ الْقائِمُ بَيْنَ الْمُتَناقِضاتِ، فَتَكُونُ الْجَدَلِيَّةُ أَساسًا لِنُشُوءِ حَقائِقَ ذِهْنِيَّةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ جَدِيدَةٍ نَتِيجَةً لِلتَّقابُلِ وَالتَّضادّ.

إِنْ السِّلْمَ وَالْحَرْبَ نَقِيضانِ مُتَلازِمانِ فِي الْحَياةِ الْإِنْسانِيَّةِ وَالْوُجُودِ، وَقَدْ شَكَلا حُضُورًا جَدَلِيًّا فِي الْفِكْرِ وَالْفَلْسَفَةِ وَالْأَدَبِ، فَالسِّلْمُ قائِمٌ عَلَى الاطْمِئْنانِ وَالراحَةِ وَالاسْتِقْرارِ وَالْهُدُوءِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ، وَيُعَدّ السِّلْمُ أساس الْعَلاقَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ، عَلَى نَقِيضِ الْحَرْبِ الَّتِي تَعْنِي الصِّراعَ وَالدَّمارَ وَالْهَلاكَ وَالْفِتَنَ وَالتَّشَتُّتَ وَالضياع، وَقَدْ تَكُونُ الْحَرْبُ وَسِيلَةً لِلدِّفاعِ عَنْ الْحُقُوقِ وَعَنِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَرَدِّ الْمَظالِمِ، وَدَفْعِ الْأَذَى، وَقَدْ ارْتَبَطَتْ الْحَرْبُ بِالشَّجاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْإِقْدامِ وَالدِّفاعِ عَنِ الذَّاتِ وعن الاهل وَعَنْ الْوَطَنِ؛ لِأَنَّ "الشِّعْرَ هُوَ الْمُعِينُ الْبارِزُ فِي شَعْرِ التَّحْرِيضِ عَلَى مُواصَلَةِ الْجِهادِ"[٥:ص١٤٣]، فَحاوَلَ الشُّعَراءُ إِعْلاءَ شَأْنِ الْبُطُولَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَقِيَمِ البطَلِ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ، فَفِي الْحَرْبِ يَبْذُلُ نَفْسَهُ لِلنَّصْرِ؛ لِأَنَّ "الْحَرْبَ بِما فِيها، وَما يَعْقُبُها كُلُّها مَظاهِرُ غَيْرِ عادِيَةٍ، مَظاهِرُ عَنِيفَةٌ مُثِيرَةٌ، تُؤَثِّرُ فِي الْأَعْصابِ، وَتُثِيرُ الانْفِعالاتِ الْمُخْتَلِفَةَ، وَتَجْعَلُ الشَّخْصَ يُحِسُّ إِحْساسًا غَرِيبًا، وَيَشْعُرُ شُعُورًا عَمِيقًا يَخْتَلِفُ كُلَّ الاخْتِلافِ عَنْ شُعُورِهِ نَحْوَ مَظاهِرِ الْحَياةِ الْعادِيَةِ"[٦:ص٦٣]، وَفِي السِّلْمِ يُكْرِمُ الضَّيْفَ، وَيُساعِدُ الْمُحْتاجَ، وَيُجْزِلُ الْعَطاءَ.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

منهج البحث:

يقومُ المنهجُ على قراءةِ النصِّ الشعريِّ قراءةً تأويليةً تحليليةً برؤيةٍ فكريةٍ تستندُ إلى علم النصِّ لفهمِ فلسفةِ السلمِ والحربِ في الفكرِ والسلوكِ والوجودِ الواقعي، إذ يُشكِّلُ الصراعُ المُتجسِّدُ في الحربِ حقيقةً واقعيةً في حركيةِ التأريخِ وجدليةِ التحولاتِ السياسيةِ والأخلاقيةِ في القرنِ الرابعِ للهجرة؛ لذلك وظَّف البحثُ موضوعةَ السلمِ والحربِ في سياقِ جدليةِ بناءٍ ثقافيٍّ، مع توظيفِ الأنساقِ المُضمرةِ؛ للكشفِ عن خفايا النصِّ الشعريِّ، في رحلةِ البحثِ النقدي عن المُعلنِ والمخفيِّ في الرؤيةِ الشعريةِ في أزمنةِ السلم، ووقائعِ الحربِ وصولًا إلى فهمٍ أدبيٍّ عن مقوماتِ الصراعِ في شعرِ ابن نباتة السعدي؛ لأنَّ السِّلمَ منهجُ إسلاميٌّ قياسًا على قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ بج بخ بم به تجتح تخ تم ته ثم جحجم حجحم خج خم سج﴾.

أهميةُ البحث:

يُعدُّ الشاعرُ ابنُ نباتة السعدي من أبرزِ شعراءِ العراقِ في القرنِ الرابعِ للهجرة، ومن أكثرهم ثراءً شعريًّا في سردِ حيثياتِ السلمِ والحربِ في العصرِ العباسيِّ الذي شهد سلسلةً مُتلاحقةً من الصراعاتِ والحروب؛ لتحقيقِ السلمِ المجتمعيِّ في سياقِ رؤيةٍ إسلاميةٍ وظَّفت الجهادَ في الصدامِ مع الخصومِ من الأممِ والأقوامِ المُجاورة. وتكمنُ أهميةُ البحث في الكشفِ عن البناءِ الموضوعيِّ والشعريِّ في منظومةِ السلمِ والحربِ وصولًا إلى تحقيقِ منظومةِ أمانٍ وسلامٍ في المجتمعِ العربي والإسلامي؛ إذ يكشفُ البحثُ عن نوايا السلامِ في ظلالِ الحربِ، وطموحاتِ الوئامِ في أزمنةِ الصراعِ العنيف قياسًا على قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ بج لح لخ لم له مج مح مخ نج نح نخ نم نه﴾.

المحور الأول: ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ (سيْرةُ شَاعِرٍ)

ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيُّ: "أَبُو نَصْرٍ عَبْد الْعَزِيز بْنُ مُحَمَّد بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نُبَاتَةَ بْن حُمَيْد بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ نُبَاتَةَ"[٧: ص٢٢]، مِنْ فُحُولِ شُعَرَاءِ الْعِرَاقِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ الشُّعَرَاءِ وَالْأُدَبَاءِ، إذْ "كَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا جَمَعَ بَيْنَ حسن السَّبْكِ وَجودة الْمَعْنَى"[٨:ص١٩٠]، لَهُ دِيوَانٌ شِعْرِيٌّ كَبِيرٌ معروفٌ بِجُزْأَيْنِ يضمّ قَصَائِد مُتَنَوِّعَة. وُلِدَ فِي بَغْدَاد فِي أُسْرَةٍ عَرَبِيَّة عرفت بِالْعِلْمِ، وَكَانَ ابْنُ نُبَاتَةَ يَفْخَرُ بِنَسَبِهِ إِلَى جدِّه نَبَاتة، بِقَوْلِهِ[٧: ص٢٣]: (بَحْر الطَّوِيل)

إِذَا مَا هَزَزْتُ الصَّارِمَ ابْنَ نَبَاتَةَ ... فَصَمَّمَ بِهِ إِنَّ الْحُسَامَ عَتِيقُ

فَلَوْ شِئْتُ عَلَّمْتُ الْمَكَارِمَ شِيمَتِي ... وَلَكِنَّنِي بِالْمُكْرِمَاتِ رَفِيقُ

تُوُفِّيَ فِي بَغْدَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ سَنَةَ(٤٠٥ه)[٩:ص٣٥٥] بَعْدَ أَنْ طَافَ الْبِلَادَ سَعْيًا وَرَاءَ الْجَاهِ وَالْمَالِ، وَمَدَحَ الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَاءَ فِي الْعِرَاقِ وَبِلَادِ الشَّامِ، وَلَهُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ(ت٣٥٦ه) غُرَرُ الْقَصَائِدِ وَنُخَبُ الْمَدَائِحِ، وَقَدْ أَهْدَاهُ فَرَسًا أَدْهَمَ أَغَرَّ مُحَجَّلًا، وَجَرَتْ لَهُ مَعَ ابْنِ الْعَمِيدِ(ت٣٦٠ه) أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ[١٠:ص٣٢]، وَلَمْ يَقْتَصِرْ أَدَبُ ابْنِ نَبَاتَةَ عَلَى قَوْلِ الشِّعْرِ فَقَطْ، بَلْ بَرَعَ فِي النَّثْرِ الْفَنِّيِّ، "وَلَه مَقَامَات لَمْ نَهْتَدِ إِلَّا إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَامَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا"[٧ص:٣٤]، فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ نَاقِدًا لِلشِّعْرِ وَرَاوِيَةً لَهُ، وَكَانَ خَطِيبًا يَقْتَبِسُ مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

خُطْبَه[١١:ص١٩٧]،عَاشَ ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيُّ فِي عَصْرٍ كَثُرَ فِيهِ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ، وَالْقُوَّادُ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الصِّرَاعَاتُ وَالْحُرُوبُ وَالْغَزَوَاتُ خَاصَّةً الْغَزَوَاتُ الصَّلِيبِيَّةُ لِبِلَادِ الشَّرْقِ؛ فَقَدَرَ لِلشَّاعِرِ "أَنْ يَعِيشَ حَرَارَةَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ مُعَانَاةٍ وَقَهْرٍ، وَمِنْ مِحَنٍ وَآلَامٍ، بِكُلِّ مَا حَفَلَتْ بِهِ مِنْ مَبَاهِجَ وَمَسَرَّاتٍ وَانْتِصَارَاتٍ"[١٢:ص١١]، وَقَصَائِدُهُ تَحْمِلُ صُوَرًا مُتَعَدِّدَةً لِمَعَانِي الْحَرْبِ وَالْبُطُولَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ، وَفِيهَا إِشَارَاتٌ وَاضِحَةٌ لِقِيَمِ السِّلْمِ الَّتِي شَكَّلَتْ نَسَقًا ثَقَافِيًّا مَوْضُوعِيًّا فِي تَجْرِبَتِهِ الشِّعْرِيَّةِ، وَوَسِيلَةً فَنِيَّةً وَجَمَالِيَّةً لِفَهْمِ سِيَاسَةِ عَصْرِهِ، بِمَا فِيهَا مِنْ صِرَاعَاتٍ وَتَطَلُّعَاتٍ نَحْوَ السِّلْمِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالسَّعْيِ لِنَيْلِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ.

المحور الثاني: الحربُ وجدليةُ الرؤية الموضوعية

شَكَّلَتْ الْحَرْبُ نَسَقًا بِنَائِيًّا فِي الْفِكْرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْحَدَثِ فِي شِعْرِ الشَّاعِرِ ابْنِ نَبَاتَةَ السَّعْدِيِّ؛ كَوْنُهُ عَاشَ فِي عَصْرٍ كَثُرَتْ فِيهِ الصِّرَاعَاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْعَسْكَرِيَّةُ، فَانْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِيَّتِهِ وَثَقَافَتِهِ الْأَدَبِيَّةِ وَنُصُوصِهِ الشِّعْرِيَّةِ، فَحَفَلَتْ قَصَائِدُهُ بِصُوَرِ الْحَرْبِ وَالدَّمَارِ بِمَا فِيهَا مِنْ تَجَارِبَ حَقِيقِيَّةٍ أَوْ خَيَالِيَّةٍ عَاشَهَا الشَّاعِرُ، وَتَفَاعَلَ مَعَهَا، وَوَظَّفَهَا فِي شِعْرِهِ بِقِيمَةٍ أَدَبِيَّةٍ مَشْحُونَةٍ بِدَلَالَاتٍ تَعْبِيرِيَّةٍ؛ لِأَنَّ الْحَرْبَ عِنْدَهُ رُؤْيَةٌ وَاضِحَةٌ وَمُتَكَامِلَةٌ تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْوَصْفِ الْخَارِجِيِّ وَالظَّاهِرِيِّ إِلَى مَعَانِي الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي تَتَوَلَّدُ مِنْ الصِّرَاعِ وَالِاقْتِتَالِ وُصُولًا إِلَى السِّلْمِ الْمَنْشُودِ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَلْحَقُ بِهَا مِنْ هَلَاكٍ وَدَمَارٍ، قِيَاسًا عَلَى أَنَّ الْقَاعِدَةَ الْأَسَاسِيَّةَ فِي الْوُجُودِ هِيَ السَّلَامُ وَالسِّلْمُ قِيَاسًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ: **ﱡﱠ ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي ﱠ.**

وَلَمْ يَقِفْ الشَّاعِرُ ابن نباتة السعديُّ عِنْدَ حُدُودِ التَّصْوِيرِ السَّرْدِيِّ الحقيقي وَالْوَاقِعِيِّ لِلْمَعْرَكَةِ؛ بَلْ تَجَاوَزَهَا إِلَى بلورة رُؤْيَةٍ شِعْرِيَّةٍ جَدَلِيَّةٍ تَنْظُرُ إِلَى الْحَرْبِ فِي بُعْدِهَا الإِنْسَانِيِّ وَالحَضَارِيِّ مُضَمِّنًا شَخْصِيَّةَ البَطَلِ الَّتِي"تَتَجَسَّدُ فِيهَا الْفَضَائِلُ الْمُتَعَارَفُ عَلَيْهَا فِي الْمُجْتَمَعِ، وَبِخَاصَّةً الْفَضَائِلَ الْحَرْبِيَّةَ، حَتَّى تَتَّجِهَ إِلَيْهِ الْأَبْصَارُ، وَيَسْتَقْطِبَ الِاهْتِمَامَ، وَيَسْتَثِيرَ الأَخْيِلَةَ [١٣:ص١٥٥] فِي نُصُوصِهِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي يُصَوِّرُ بِهَا الْحُرُوبَ وَالْمَعَارِكَ.

وتبلورتْ الْحَرْبُ نَسَقًا بِنَائِيًا فِي الْفِكْرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْحَدَثِ فِي شِعْرِ الشَّاعِرِ ابْنِ نَبَاتَةَ السَّعْدِيِّ؛ إِذْ عَاشَ فِي عَصْرٍ توالت عليه الحروب والصِّرَاعَاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْعَسْكَرِيَّةُ، فَانْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِيَّتِهِ وَثَقَافَتِهِ الْأَدَبِيَّةِ وَنُصُوصِهِ الشِّعْرِيَّةِ، فَحَفَلَتْ قَصَائِدُهُ بِصُوَرِ الْحَرْبِ وَالدَّمَارِ بِمَا فِيهَا مِنْ تَجَارِبَ حَقِيقِيَّةٍ عاشها الشاعرُ أو خيالية رسمَ معالمها في الشعر، وَتَفَاعَلَ مَعَهَا، وَوَظَّفَهَا فِي شِعْرِهِ بِقِيمَةٍ أَدَبِيَّةٍ مَشْحُونَةٍ بِدَلَالَاتٍ تَعْبِيرِيَّةٍ؛ لِأَنَّ الْحَرْبَ عِنْدَهُ رُؤْيَةٌ وَاضِحَةٌ وشاملةٌ وَمُتَكَامِلَةٌ تَتَجَاوَزُ الْوَصْفَ الْخَارِجِيَّ وَالظَّاهِرِيَّ إِلَى مَعَانِي الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي تَتَوَلَّدُ مِنْ الصِّرَاعِ والقتال وُصُولًا إِلَى السِّلْمِ المنشود، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَلْحَقُ بِهَا مِنْ هَلَاكٍ وَدَمَارٍ وخراب، فَلَمْ يَقِفْ الشَّاعِرُ عِنْدَ حُدُودِ التَّصْوِيرِ السَّرْدِيِّ وَالْوَاقِعِيِّ لِلْمَعْرَكَةِ؛ بَلْ تَجَاوَزَهَا إِلَى بلورة رُؤْيَةٍ شِعْرِيَّةٍ جَدَلِيَّةٍ تَنْظُرُ إِلَى الْحَرْبِ فِي سِيَاقِهَا الإِنْسَانِيِّ وَالحَضَارِيِّ مُضَمِّنًا شَخْصِيَّةَ البَطَلِ المحارب الَّتِي "تَتَجَسَّدُ فِيهَا الْفَضَائِلُ الْمُتَعَارَفُ عَلَيْهَا فِي الْمُجْتَمَعِ، وَبِخَاصَّةً الْفَضَائِلَ الْحَرْبِيَّةَ، حَتَّى تَتَّجِهَ إِلَيْهِ الْأَبْصَارُ، وَيَسْتَقْطِبَ الِاهْتِمَامَ، وَيَسْتَثِيرَ الأَخْيِلَةَ"[١٣:ص١٥٥] فِي نُصُوصِهِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي يُصَوِّرُ بِهَا الْحُرُوبَ وَالْمَعَارِكَ.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويُشير ابْنُ نباتَةَ السَّعْديّ إلَى الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ الَّذي يُحيطُ بالدَّوْلَة الْعَبَّاسيَّة، ويَكْشفُ عَنْ جَدَلِيَّة الْحَرْب الَّتي تُعَدُّ رَمْزًا للْقُوَّة وَالْكَرَامَة وَالشَّرَف وَالْعزَّة، في قَوْله[٧:ص١٥٢]: (بحر الْوَافر)

بِأَرْضِ	الرُّوم	نَعْتنقُ	الْمَوَاضِي	وَنَمتهدُ	الْمُسُوَّمَة	الْفُحُولا
وَنُنْشيء	منْ	دمَائهمُ	سَحَابًا	تَكْشف	منْ	قَسَاطلهَا	نحْولا
نُطيعُ	اللَّهَ	في	خَوْضِ	الْمَنَايَا	وَسَيْفَ	الدَّوْلَة	الْملكَ	الْجَليلَا
إذَا	طَلَبَتْ	مُلُوكهمْ	لَدَيْنَا	ذُخُول	الْحَرْب	زِدْنَاهُمْ	ذُخُولًا
إذَا	مَا	أرْسَلُوا	جَيْشًا	إلَيْنَا	رَدَدْنَا	منْ	دمَائهمُ	رَسُولًا

تَبْرزُ الْحَرْبُ رَمْزًا للْقُوَّة وَالْكَرَامَة بمُفْرَدَاتها الْمحْوريَّة:(الْمَوَاضي،والمُسومَة،والْفُحُول،والقساطل،والسحَاب)، فَالحَرْب قُوَّةٌ تَقْهرُ وتُقْهر، ويُشير الشَّاعرُ إلَى الْمَكَان الَّذي حدَّدَهُ في(أَرْض الرُّوم)، لِأَنَّ "اتِّسَاعَ دوْلَة الرُّوم هُوَ الَّذي جرَّ الْمُسْلمينَ إلَى التَّورُّط في حَالَة الْحَرْب مَعَ الشَّطْر الْأَعْظَم منْ الْعَالم الْمَسيحي"[١٤:ص٣٩]؛ ليُصوِّر الشَّاعرُ مَكَان الْحَرْب بقُوَّة وَشَجَاعَة مَعَ الالْتزَام بمبَادئ الفُرُوسيَّة في الْمَعْركَة، فَالحَرْب رَمزٌ للْقُوَّة وَالهَيْمنَة والسيطرة، وَالدِّمَاءُ تَتَحوَّلُ إلَى قيمة ايجابية تتمثل بـــسَحَاب ممْطر يَسُوقُ الْخَيْرَ في جَدَليَّة وَاضحَة بَيْنَ السِّلم الْحَقيقيِّ وَالْحَرْب الْمُعْلَنَة؛ ليعلنَ الشاعرُ النَّصرَ المؤكد عَلَى الْعَدُوِّ الَّذي صارَ ضَعيفًا نَحيلًا وهزيلًا لَا يَقْوَى عَلَى المُوَاجَهَة، فَالشَّاعر لَمْ يَغْفُلْ عَنْ طَاعَة اللَّه وَالالْتزَام بأَوَامره في الْحَرْب، مُوَظِّفًا لَقَب الأمير سَيْف الدَّوْلَة الْحمْدَانيّ(ت٣٥٦ت) ووَصفَه بالْجَليل؛ ليَمْنَحه رَمز السُّلْطَة المطلقة وَالْقُوَّة والهيمنة، إذْ يَكُونُ السَّيْفُ في الْحَرْب أَدَاةً للْعَدْل وَتحقيق الانْتصَار عَلَى الْعَدُوِّ، ويُوَظِّف الشَّاعر التَّكْرَار اللَّفْظيّ(ذُخُول، ذُخُولًا)؛ لتَأْكيد الانْتصَار عَلَى الْعَدُوِّ وَأخذ الثأْر منهم ومناصبتهم العَداء والحقد والكراهية، وتُشير لَفْظَةُ(مُلُوك) بصيغَة الْجَمْع إلَى جَعْل الْمَعْركَة صرَاعًا بَيْن جَمَاعَات كثيرة وَمُلُوك وَطَبَقَات حَاكمة، وَلَيْس صرَاعًا بَيْنَ أَفْرَاد متَفَرِّقين ومشتتين مِمَّا يَرْفَعُ منْ شأْن الْبُطُولَة الْحَرْبيَّة "فَالْبُطُولَةُ وَالشَّجَاعَة وَالْقُوَّة وَإهْلَاك الْأَعْدَاء كَانَتْ جَديرَة بأَنْ تَشْغَل أَهَمّ جُزْء في الْمَدْح، وَلَا عَجَبَ فَمَا الْمَدْح إلَّا فَخْرٌ عَلَى لسَان الْغَيْر"[٦:ص٦٧]، فَيُصوِّر الشَّاعر جَدَليَّة الْحَرْب، وَيَجْعَل الْعَدُوّ مُبَادرًا بالْهُجُوم، بقَوْله:(أَرْسَلُوا جَيْشًا إلَيْنَا)؛ ليرسخَ معنى الاعتداء ولِيَبْني سيَاقًا جَدَليًّا قَائمًا عَلَى الصِّرَاع وَالْبُطُولة، فَيُقَابلُ الْإرْسَال بالرَّدّ(رَدَدْنَا منْ دمَائهمْ رَسُولًا)؛ لِيَكُون النَّصْر حَليفهمْ، فَتَتَحوَّل الدِّمَاء إلَى رَسُول منْ مُرْسل آمن وَمُطْمَئنّ بالنَّصْر إلَى مُرْسل فَقَدَ وُجُودَهُ وكيانه، في جَدَليّة عَبَّرَتْ عَنْ رُؤْيَة شعْريَّة ضُمِّنَتْ مَعْنَى الانْتصَار الحقيقي وَالْقُوَّة وَالْهَيْبَة مُقَابلَ الْخذْلَان وَالانْكسَار والهزيمة، فَقَدْ تَأَثَّر الشَّاعر "بالحُرُوب الصَّليبيَّة فَكَثُرَ الْقَوْلُ في الْجهَاد، وَالْجُيُوش وَآلَاتهَا ووَصَف الْحُصُون وَالْقلَاع، وَإبْرَاز فَضَائل الشَّجَاعَة وَالنَّخْوَة وتَمْجيد الدِّفَاع عَنِ الْأَوْطَان"[١٢:ص٣٥]، فَالحَرْب عنْد الشَّاعر لَيْسَتْ صرَاعًا وَقتَالًا ماديًّا وَجَسَديا، بَلْ تَصْوير شعْري للْكَرَامَة وَالسِّيَادَة، وَالانْتصَارُ فيها مَقْرُون بالْعَدَالَة وَحمَايَة الْمُلْك، فَشعْر الْحَرْب وَثيقَة تَاريخيَّة يُدَوَّن فيهَا مَكَانُ الْحَرْب وَأَسْمَاء الْقَادَة "لِأَنّ الشُّعَرَاء الْمُسْلمينَ في تلْكَ الْفَتْرَة، وَصَفُوا مُعْظَمَ المعَارك الَّتي وَقَعَتْ بَيْنَ الْمُسْلمينَ وَأَعْدَائهمْ، كَمَا تحَدَّثُوا عَنْ أَسْلحَة هَذه الْمَعَارك، وَأَمَاكنهَا الَّتي وَقَعَتْ فيهَا، وَأَنْوَاع الأَسْلحَة الَّتي اسْتُعْملَتْ فيهَا كَمَا أَشَارُوا إلَى أَسْمَاء الشَّخْصيَّات الْهَامَّة الَّتي اشْتَرَكَتْ في هَذه

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الحُرُوب"[٥:ص٩١]، فَالشَّاعر يُجسِّد وَجْه الحَرْب التَّاريخيّ مِنْ مَنْظار جَدَلِيّ موضوعي؛ لِيُؤكِّد أَنَّ اللُّغَةَ الْحَرْبِيَّة شَرْعِيَّات تُكَرِّسُ الْعُنْفَ وَتُغْلِق إِمْكَانِيَّة السَّلَام وَتَبْرِير السَّلَام بَدَل الْحِوَار.

وَتَتَجَلَّى صُورَة الْمُقَاتِل البَطَل فِي شِعْرِ ابْنِ نباتَةَ السَّعْدِيّ، وَتَظْهَر رُوح الْفُرُوسِيَّة وَالْحَمَاسَة والاقدام فِي إِطَار رَسْمِ مَشْهَد قِتَالِي نَابِض بِالْقُوَّة وَالْعُنْفُوَان فِي الْحَرْب، إِذْ يَقُولُ:[٧:ص٤٠٩] (بَحْر الْكَامِل)

وَإِذَا الْجِيَادُ جَرَتْ عَلَى أَجْسَامِهَا ... نَزَعَ الْبَطِينُ عَنِ الْخَمِيصِ الضَّامِرِ

قَدٌّ وُجِدٌّ مَا يَفُلّ وَجُرْأَةٌ ... كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الْكَمِيّ الثَّائِرِ

وَأَغَرّ مِنْ آلِ النَّبِيِّ جَبِينُه ... شَمْسُ النَّهَارِ تَغُولُ عَيْنَ النَّاظِرِ

يَجْتَابُ أَرْدِيَةَ النَّعِيمِ وَتَارَةً ... يَجْتَابُ أَرْدِيَةَ النَّجِيعِ المَائِرِ

يفيضُ الْمَشْهَد الْبُطُولِيُّ بِالْحَمَاسَة وَبِبُطُولَة لَا تعْرِفُ الْخذْلَان، إِذْ يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ الْجُرْأَة سَيْفًا مَاضِيًا فِي يَدِ مُقَاتِلٍ ثَائِرٍ عَلَى الْعدُوِّ، فَالْبَطْل الشُّجَاعُ يَتَمَتَّع "بِالشَّجَاعَة وَالْقُوَّة وَالْخِبْرَة الْحَرْبِيَّة، وَالْمُرُوءَة وَالْإِقْدَام، وَصدق الْعَزِيمَة وَالدِّفَاعِ عَنِ الشَّرَف وَالْحِكْمَة"[٦:ص٢٩٩]؛ لِيَمْنَحَه الشَّاعِر صُورَةً حِسِّيَّةً مَلْمُوسَة، فَالْجَوَادُ رَمْزٌ لِلْبُطُولَة والفروسية فِي الْحَرْب، إِذْ تَظْهَرُ جِيَادُ الْجُيُوش والْفُرْسَانُ تَدُوس الْأَعْدَاء الْمُبَعْثَرِين فِي سَاحَات الْقِتَال، إِذْ "ارْتَبَطَتْ الْخَيْل بِالْبُطُولَة الْعَرَبِيَّة، ارْتِبَاطًا وَثِيقًا وَبِخَاصَّةٍ فِي مَجَالِهَا الْحَرْبِيّ. فَبِفَضْلِهَا تَجَلَّتْ بطُولَة الْفَارِس الْعَرَبِيّ بِأَبْهَى صُورَة وَأَرْوَعِهَا"[١٥:ص٢٥٦]، فَالْفَارِسُ الشَّدِيد يَقْتَحِم الْجَيْش؛ فَيَنْزِع قواه، وَيُبَدِّد تَمَاسُكه فِي جَدَلِيَّة تصوّر انْتِصَار الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِل، وَتَكمنُ هَذِه الْجَدَلِيَّة فِي الْجُرْأَة الَّتِي صَوَّرَهَا الشَّاعِر بِالسَّيْفِ فِي يَدِ الْمُقَاتِل الثَّائِر مُقَابِل فَرَار الْعَدُوّ وَضَعْفه وَانْكِسَاره، وَتَكمن الجَدَلِيَّةُ فِي صُورَة البَطَل الثَّائِر الذي يَظْهَرُ بِثِيَاب النَّعِيم(السلّم) وَثِيَاب النَّجِيع الْمُلَطَّخَة بِالدِّمَاء(الْحَرْب) دَلَالَة عَلَى ضَرَاوَتِهَا وَاشْتِعَالِهَا، فَالدَّمُ المائر يسيلُ ويجري بحركة واضطراب، وَقَد صَوَّرَ الشَّاعِر حَالَة التَّقَابُل بَيْنَ(النَّعِيم، وَالنَّجِيع)، فَالنَّعِيم رَمْز السِّلْم بِمَا فِيهِ مِنْ رَخَاء وَاسْتِقْرَار، وَفِي الْمُقَابِل يرمز النَّجِيع إِلَى الْحَرْب بِمَا فِيهِ مِنْ عُنْف وَمُوَاجَهَة وَقِتَال، وَيَدُلّ الْفِعْل الْمُضَارِع(يَجْتَاب) عَلَى الانْتِقَال وَالْحَرَكَة الْمُسْتَمِرَّة دون انقطاع بوعي وإدراك، فَالانْتِقَال يَكُونُ فِي حَالَة السِّلْم وَالْحَرْب. والحَرْب وَالسِّلْم يُكْمِلَان بَعْضهمَا الْبَعْض فِي رُؤْيَة مَوْضُوعِيَّة – جَمَالِيَّة شَامِلَة وواضحة جَمَعَتْ بَيْنَهُمَا.

وَيرسمُ الشَّاعِرُ ابْنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ لَوْحَةً شِعْرِيَّةً مُتَكَامِلَةً تَجْمَعُ بَيْنَ صُوَرِ الْحَرْب وَمَفَاهِيم الشَّجَاعَة والفروسية والإقدام ممزوجةً بقيمِ الْمُرُوءَة وَالشَّهَامَة والرفعة وَيُقَدِّمُهَا بِرُؤْيَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ وجماليّةٍ مُتَنَاسِقَة، إِذْ يَقُولُ[٧:ص٣٠٧]: (بَحْر الطَّوِيل)

تَرَكْتَ لَهُمْ صَحْنَ الرِّهَانِ وَنَقَعَهُ ... وَفُزْتَ بِغَايَاتِ السَّوَابِقِ وَالْخَصْلِ

كَمَا تَرَكَ الظَّبْيَ الْمُنَفِّرُ ظِلَّهُ ... لَقَانِصِهِ لَوْ كَانَ يَقْنَعُ بِالظِّلِّ

وَلَوْ شِئْتُ لَمَا أَثْقَبَ الْكَيْدُ نَارَهُمْ ... سَدَدْتَ فُرُوجَ النَّارِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وَلَكِنْ ثَنَيْتَ الْجَهْلَ بِالْحِلْمِ فَانْثَنَى وَمِثْلُكَ مَنْ قَادَ الْجُمُوحَ عَلَى رِسْلِ
مِنْ الْحِلْمِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مهَانَةٌ إِذَا كَانَ لَا يَنْهَى عَدُوَّكَ عَنْ جَهْلِ

تَكْمُنُ الْجَدَلِيَّة بَيْنَ صغَائِرِ الْأُمُورِ، وَالْمَكَاسِبِ الضَّئِيلَة الَّتِي نَالَهَا الْخُصُومُ/الأعداء، وَغَايَات الْأُمُورِ وَالْمَجْدِ الْحَقِيقِيِّ وَالشَّرَفِ الرَّاسِخِ الَّذِي فَازَ بِهِ الْفَارِسُ/الْمُقَاتِلُ، فَيُشبه الشَّاعِر الْأَعْدَاء بِالظَّبْيِ الَّذِي يَتْرُكُ ظِلّه لِلْقَانِصِ، وَهُوَ يَطْلُبُهُ بِذَاتِهِ/بِعَيْنِهِ؛ إِذْ يُشبِّه الشَّاعِر ابْنِ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ الْعَدُوّ بِالْحَيَوَانِ/الظَّبْيِ الْخَائِفِ الْمَذْعُورِ والمنهزم من ساحات المعركة؛ لَكِن الْفَارِسُ/الصَّيَّادُ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ أَوْ يَتَجَاوَزُه فِي مُقَابَلَة وَاضِحَة بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْفَارِسِ وَالظَّبْيِ وَالصَّيَّادِ، فَالحَرْب الحقيقية لَا تَرْضَى بِأَنْصَافِ الْحُلُولِ، بَلْ تَتَطَلَّب مُوَاجَهَةً مُبَاشِرَةً مَعَ الْخَصْمِ وَالْعَدُوّ، وَيُوَظِّف الشَّاعِر التَّقَابُل بَيْنَ(نَار كَيْدِهِمْ) و(حَطَب الْقُوَّة) دَلَالَة الْمُوَاجَهَة المباشرة، وَخَوْض غَمَرَات الْمَعْرَكَة وَالْمُبَارَزَة؛ لِأَنَّهَا فِي الحرب "مَنْفَذ لِلْبُطْل، يُبْرِز فيه بطُولته الْفَرْدِيَّة ضِمْنَ إِطَارِ الْجَمَاعَة، وَقَد يَنْطَلِقُ الشِّعْر عَلَى أَلْسِنَةِ الْكَثِيرِ مِنْ الشُّعَرَاءِ الْفُرْسَانِ الَّذِين اسْتَخْدَمُوا الشِّعْرَ أَدَاة لِوَصْفِ الْبُطُولَة الَّتِي كَانَ الْمُقَاتِلُون يُبْدُونَهَا خِلَالَ الْمُبَارَزَاتِ الْفَرْدِيَّة"[١٦:ص١٢٩]، فَالذَّات الشَّاعِرَة تُؤَجِّج الْحَرْب وتهيجها ضدّ الْعَدُوِّ سَعْيًا لتحقيق النَّصْرِ؛ فَيُلْجَأ الشَّاعِرُ إِلَى الْخِطَابِ الْمُبَاشِرِ لِلْفَارِسِ الْمُقَاتِلِ بِقَوْلِه:(ثَنَيْتَ الْجَهْلَ بِالْحِلْمِ)؛ إِذْ قَابَلَ جَهْلَ الْعَدُوّ بِحلم وأناة الفارس الشجاع، فَتَظْهَر الْمُفَارَقَةُ بَيْنَ صِفَةِ الْعَدُوّ الْجَاهِلِ وَصِفَةِ الْفَارِسِ الْحَلِيمِ الَّذِي يَقُودُ الْمَعْرَكَةَ بِحِلْمٍ وَتَأَنٍّ وَشَجَاعَة؛ لَكِنَّه يُؤَكِّدُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَن الْفَارِسَ أَهْلٌ لِقِيَادَةِ الْجُيُوشِ، بِقَوْلِه:(وَمِثْلُكَ مَنْ قَادَ الْجُمُوحَ)؛ فَيُصَوِّر شَخْصِيَّةَ الْفَارِسِ الْمُقَاتِلِ مُقَابِلَ جُمُوعِ الْأَعْدَاءِ، فَتَكْمُن الجَدَلِيَّة الْمَوْضُوعِيَّة فِي تَصْوِيرِ الْفَارِسِ تَارَةً فِي حِلْمٍ وَأَنَاة، وَتَارَةً فِي حَزْمٍ وَشِدَّة وَبَأْسٍ وإقدام، فَيُظْهِرُ الشَّاعِرُ الْحَرْبَ قَائِمَةً لَا مَفَرَّ مِنْهَا لِرَدْعِ الْعَدُوّ وَصَدِّه، أَمَّا الحِلْم فَهُوَ قِيمَة نِسْبِيَّة تُمْدَح إِذَا أَوْقَفَتْ الْعَدُوّ عَنْ الْقِتَالِ، وَتُذَمّ إِذَا لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ؛ فَالسِّلْم يَتَحَقَّقُ بِقُوَّةِ الْحَرْبِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ الْحِلْم مَقْرُونًا بِالْحَزْمِ وَالشِّدَّة فَإِنَّهُ يَنْقَلِبُ إِلَى مُهَانَة وَضَعْف وهزيمة وانكسار، فَيَطْلُبُ الشَّاعِرُ مِنْ الْفَارِسِ أَنْ يُوَازِن بَيْنَ قِيمَتَيْ الشِّدَّةِ وَالْحَزْمِ فِي الْحَرْبِ، وَالْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي السِّلْمِ؛ لِيُحَقِّقَ النَّصْرَ بِالسَّيْفِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ.

وَيُؤَكِّدُ الشَّاعِرِ ابْنِ نُبَاتَةَ السَّعْدِيّ أَنَّ الْمَجْدَ الحقيقي يُنَال بِالْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ والبأس، وَأَن السِّلْمِ الْحَقِيقِيِّ يُصَان ويحفظ بِالْإِقْدَامِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْقِتَالِ والفروسية، إِذْ يَقُولُ[٧:ص٢٦٤]: (بَحْرِ الْكَامِلِ)

قَوْمٌ إِذَا طَعَنُوا الْفَوَارِسَ فِي الْوَغَى غَرِقَتْ رِمَاحُهُمْ إِلَى الْأَعْضَادِ
سَلَبَ الْكَوَاكِبُ نُورُهَا وَكَأَنَّهُ قُوِّمُ بِهَا فَوْقَ الْكَوَاكِبِ صَادِ
قُلْ لِي: فَأَيْنَ تُرِيدُ قَدْ حُزْتَ الْمَدَى وَعَلَوْتَ حَتَّى صِرْتَ بِالْمِرْصَادِ؟
السَّيْفُ لَحظُكَ وَالْجِبَالُ ضَرَائِبٌ وَالرُّمْحُ خَوْفُكَ وَالنُّجُومُ أَعَادِ

يُصَوِّرُ الشَّاعِر شِدَّة الطَّعْن وَضَرَاوَة الْحَرْب وَاشْتِعَالها فِي الْمَعْرَكَةِ الَّتِي تُغْرِق الْعَدُوّ بِالدِّمَاء، إِذْ يَغُوص الرُّمْح/أَدَاة الْحَرْبِ، فِي جَسَدِ الْعَدُوِّ إِلَى الْعَضُدِ مَا بَيْنَ الْكَتِفِ وَالْمِرْفَقِ لِيُعلن عن قِتَالٍ شَدِيدٍ وَمُوَاجَهَةٍ مُبَاشِرَةٍ، إِذْ وَظَّفَ الشَّاعِر صِيغَةَ الْجَمْعِ فِي أَلْفَاظِ:(القوم،والفَوَارِس،والرماح،والْأَعْضَاد)؛ لِيَرْسُخَ ضَرَاوَةَ الْمَعْرَكَةِ وَاحْتِدَامَهَا،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فَأَظْهَرَ الْبُطُولَةَ الْجَمَاعِيَّةَ؛ لِتَحْقِيقِ النَّصْرِ الْمُؤَكَّدِ عَلَى الْعَدُوِّ. ثُمَّ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى تَشْبِيهِ الْفُرْسَانِ بِالْكَوَاكِبِ؛ وَبَالَغَ فِي تَصْوِيرِهِمْ فَجَعَلَهُمْ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَنْزِلَةً وَعُلُوًّا وَرِفْعَةً وَشَأْنًا فِي مُبَالَغَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَقْصُودَةٍ؛ لِتَعْظِيمِ مَكَانَةِ الْمُقَاتِلِينَ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، مُوَظِّفًا أُسْلُوبَ الِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ فِي قَوْلِهِ:(قُلْ لِي)، لِيَجْعَلَ الْفَارِسَ فِي أَعْلَى مَرْتَبَةٍ وَصَلَ إِلَيْهَا(عَلَوْتَ) وَلِيَمْنَحَهُ السُّلْطَةَ الْمُطْلَقَةَ الْعُلْيَا بِدَلَالَةِ لَفْظَةِ(بِالْمِرْصَادِ) فَهُوَ فِي الْمَكَانَةِ الْعُلْيَا فِي مَسَارِ الطُّمُوحِ وَالسُّلْطَةِ وَالتَّرَقُّبِ وَالسيطرة.

وَقَدْ جَسَّدَ الشَّاعِرُ الْقُوَّةَ وَالْبُطُولَةَ بِأُسْلُوبٍ بَلَاغِيٍّ، إِذْ تَتَحَوَّلُ عَنَاصِرُ الطَّبِيعَةِ الصَّامِتَةِ(الْجِبَالِ/النُّجُومِ) دَلَالَةَ الرُّسُوخِ وَالْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ وَالثَّبَاتِ إِلَى أَدَوَاتٍ يُوَظِّفُهَا لِإِظْهَارِ شَجَاعَةِ الْمُقَاتِلِ فِي الْحَرْبِ وَيُرْسِخُ هَيْبَتَهُ، فَالْمُقَاتِلُ مُتَقَدِ الْعَزْمِ بِقُوَّةِ السَّيْفِ الْقَاطِعِ الْبَتَّارِ،(فَالْجِبَالُ) رَمْزُ الصَّلَابَةِ وَالْعُلُوِّ وَالْجَبَرُوتِ وَالْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ وَالرِّفْعَةِ، جَعَلَهَا الشَّاعِرُ تَخْضَعُ خُضُوعًا يَلِيقُ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَاتِلِ الْبَطَلِ وَتُقْهَرُ وَتُهْزَمُ، فَيَظْهَرُ الْبَطَلُ أَقْوَى مِنْهَا "فِي مُبَالَغَةٍ شِعْرِيَّةٍ تَتَجَاوَزُ مَحْدُودِيَّةَ الْمَكَانِ إِلَى قِمَمِ الْجِبَالِ"[١٧:ص٦٣] فَتَوَلَّدُ الطَّبِيعَةُ الصُّوَرَ، وَتُصْبِحُ مَوْضُوعًا تَشْبِيهِيًّا بِالْوَعْيِ وَالتَّفَاعُلِ وَالْإِرَادَةِ وَالرُّؤْيَةِ لِإِظْهَارِ الْقُوَّةِ الْفَائِقَةِ لِلْمُقَاتِلِ بِالرُّمْحِ رَمْزِ الْهُجُومِ وَالْمُوَاجَهَةِ الْمُبَاشِرَةِ، وَتَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ الرُّمْحِ "بِفَاعِلِيَّتِهِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِخْدَامِهِ، وَالْبَرَاعَةِ فِي اسْتِثْمَارِهِ، فَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ السِّلَاحِ مَزَايَا تَتَّصِلُ بِطَبِيعَةِ مَادَتِهِ وَصِنَاعَتِهِ، وَبِأُسْلُوبِ اسْتِعْمَالِهِ، وَأَهَمِّيَّتِهِ الْحَرْبِيَّةِ"[١٥:ص٢٧٢]، فَالرُّمْحُ يُثِيرُ الرُّعْبَ فِي الْخَصْمِ، وَيَظْهَرُ أَثَرُهُ النَّفْسِيِّ فِي الْعَدُوِّ لِحِدَّتِهِ وَشِدَّتِهِ. وَقَدْ بَالَغَ الشَّاعِرُ فِي التَّصْوِيرِ الْكَوْنِيِّ لِلنُّجُومِ رَمْزِ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ؛ لِتُصْبِحَ أَعَادِيَهُ أَمَامَ قُوَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ دَلَالَةً عَلَى عَظَمَةِ الْبَطَلِ الْمُقَاتِلِ الَّتِي تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ، فَتَجَسَّدَتْ فِي النَّصِّ جَدَلِيَّةُ السِّلْمِ وَالْحَرْبِ الَّتِي يُؤَكِّدُ بِهَا الشَّاعِرُ أَنَّ الْمَجْدَ وَالْعِزَّةَ وَالْحَزْمَ وَالْقُوَّةَ قِيَمٌ مَعْرِفِيَّةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِحَدِّ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ فِي الْوَاقِعِ، وَأَنَّ السِّلْمَ الْحَقِيقِيَّ يُنَالُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالْوَعْيِ وَالْإِدْرَاكِ الذِّهْنِيِّ وَالْحِسِّيِّ.

المحور الثالث: السِّلْمُ وَجَدَلِيَّةُ الرُّؤْيَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ

يُعَدُّ السِّلْمُ قِيمَةً إِنْسَانِيَّةً وَحَضَارِيَّةً تَكْمُنُ أَهَمِّيَّتُهَا فِي اسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعِ وَتَقَدُّمِهِ وَنُهُوضِهِ، وَالسِّلْمُ لَيْسَ غِيَابًا قَصْدِيًّا لِلْحَرْبِ وَتَغْيِيبًا لِمَظَاهِرِ الْقِتَالِ، بَلْ نِتَاجَ جَدَلِيَّةِ الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَصِرَاعِ الشِّدَّةِ وَالْقِتَالِ، وَالرَّخَاءِ وَالْقُوَّةِ، وَالْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ، وَالْحَقِّ وَالْوَاجِبِ، وَالسِّلْمُ الْحَقِيقِيُّ يَعْتَمِدُ عَلَى الشِّدَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالْمُوَاجَهَةِ الْمُبَاشِرَةِ مَعَ الْخَصْمِ الَّتِي تَحْفَظُ لِلْإِنْسَانِ كَرَامَتَهُ وَتُعَزِّزُ هَيْبَتَهُ، وَتُحَقِّقُ الْعَدَالَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَتُشِيعُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ الْمَكَانِيَّ؛ فَتَتَحَقَّقُ الْبُطُولَةُ الْفَرْدِيَّةُ وَالْجَمَاعِيَّةُ بِتَحْقِيقِ السِّلْمِ؛ لِأَنَّ السِّلْمَ يُقَدِّمُ "الْوَعْظَ وَالْإِرْشَادَ، فَذَلِكَ يَعْنِي أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً حَسَنَةً يُطْبَقُ مَا يُقَدِّمُهُ مِنْ مَوَاعِظَ لِلْآخَرِينَ عَلَى نَفْسِهِ"[١٦:ص٤١]، وَقَدْ حَفَلَ دِيوَانُ الشَّاعِرِ ابْنِ نُبَاتَةَ السَّعْدِيِّ بِنُصُوصٍ شِعْرِيَّةٍ تَحْمِلُ دَلَالَاتِ السِّلْمِ وَتُؤَكِّدُهَا وَتُثْنِي عَلَى أَصْحَابِهَا، وَتَصِفُهُمْ بِأَوْصَافٍ مَادِّيَّةٍ مَلْمُوسَةٍ، وَمَعْنَوِيَّةٍ مَحْسُوسَةٍ، فَلَمْ تَكُنْ هَدَفًا مَقْصُودًا بَعِيدًا عَنْ الْحَرْبِ وَمَظَاهِرِهَا، فَالسِّلْمُ نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ عَنْهُ بَعْدَ الْقَضَاءِ عَلَى الْعَدُوِّ، أَوْ صَدِّهِ وَرَدْعِهِ.

وَيُجَسِّدُ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ السِّلْمِ فِي شِعْرِهِ، حَيْثُ قَابَلَ بَيْنَ الْقُوَّةِ الْمَادِّيَّةِ الْمَلْمُوسَةِ، وَالْقُوَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ فِي رُؤْيَةٍ مُتَوَازِنَةٍ جَمَعَتْ بَيْنَهُمَا، فَيَرْبِطُ بَيْنَ الِانْتِمَاءِ إِلَى الْحَرْبِ وَبَيْنَ عَالَمِ الْحَرْبِ، وَبَيْنَ التَّرَفُّعِ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْقِتَالِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى السِّلْمِ وَتَحْقِيقِ الْأَمَانِ، إِذْ يَقُولُ[٧:ص٢٢٣]: (بَحْرُ الْوَافِرِ)

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تَلَاحظُك الْفَوَارِسُ مِنْ بَعِيدٍ فَتَخْتَارُ الْحِمامَ عَلَى الْقِتَالِ
وَتَأْنَف مِنْ نزَالِهِمُ وَكَانُوا يَعُدُّونَ الشَّجَاعَةَ فِي النِّزَالِ
تُخَالِطُهُمْ وَلَمْ تُشهرْ حُسَامًا كَأَنَّك مِنْهُمُ فِي كُلِّ حَال
فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُ مَا تَمَنَّى إِذًا حَيَّاكَ بِالْأَسَلِ الطِّوَالِ

يُقَدِّمُ الشَّاعِر نَسَق السِّلْم برُؤْيَة مَوْضُوعِيَّة، إِذْ جَعَلَ الْفَارِس الحقيقي لَا يَلْجَأُ إِلَى الْحَرْب والقتال، لِيُثْبت شَجَاعَته وَبَأْسه، بَلْ يَخْتَارُ السِّلْم عَنْ وَعْيٍ وَإِدْرَاك عَقْلِيّ وَتَعَال عَنْ الْقَتَال وَسَفْك الدِّمَاء وَإِزْهَاق الْأَرْوَاح "فَصِفَات البَطَل الْجِسْمَانِيَّة لَا تكْتَسب أَهَمِّيَّتهَا وَقِيمَتهَا إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَكُونُ انْعِكَاسًا وَدَلِيلًا لِلْقُوَّة وَالْحَيَوِيَّة، بِوَصْفِهِمَا يُحَقِّقَان الْمَنَعَة وَالْقُدْرَة عَلَى مجَابهة الظُّرُوف الصَّعْبَة، وتلتقي قِيمَتُهَا مَعَ الْبَصِيرَة فِي الرَّأْي وَالْأَنَفَة"[١٥:ص١٩٨]، فَجَعَلَ الشَّاعِر الشَّجَاعَة تُدْرَك بِالْفِعْلِ الْأَخْلَاقِيّ قَبْلَ الْفِعْلِ الْقِتَالِي، مُوَظِّفًا رَمْز السِّلْم فِي قَوْله:(لَمْ تُشْهِرْ حُسَامًا)، عَلَى رَمْزِ الْحَرْبِ (الْقِتَال)، فَيَكْمُن التَّحَوُّل الْجَدَلِيّ فِي جَعْلِ الشَّجَاعَة بِالْحِكْمَة وَالْعَقْل لَا بِالْمُوَاجَهَة بِالسَّيْف وَالْقِتَال، وَاخْتِيَار السِّلْم مع وجود الْقُدْرَة الْجَسَدِيَّة وَالْبَدَنِيَّة وَالِاسْتِعْدَاد النَّفْسِيّ وَالْمَعْنَوِيّ عَلَى الْقِتَال، فَالشَّاعِر لَا يُنْكِرُ الْحَرْب، لَكِنَّهُ يَرَى أَسْمَى الشَّجَاعَة وَأَعْلَاهَا فِي كَبْحِهَا وَتَجَاوُزِهَا بِالْعَقْلِ وَالْحِكْمَة، وَيُجسد الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ(تَأْنَف) الْكَرَامَة وَعُلُوّ النَّفْس الْإِنْسَانِيَّة؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْفُضُ الْحَرْب خَوْفًا مِنْ الْمُوَاجَهَة الْمُبَاشِرَة مَعَ الْخَصْمِ، بَلْ اسْتِعْلَاء أَخْلَاقِيًّا، فَالْفَارِس لَا يَنْعَزِلُ عَنْ أَهْلِه فِي الْحَرْب، بَلْ يَعِيش بَيْنَهُمْ(كَأَنَّك مِنْهُمْ فِي كُلِّ حَال) يَعْنِي أَنَّهُ يَمْتَلِك صِفَاتِهِمْ الْجِسْمَانِيَّة وَالْقُدْرَة الْبَدَنِيَّة فِي الشَّجَاعَة وَالْفُرُوسِيَّة؛ لَكِنَّهُ يَجْعَلُ الْقُوَّة الْحَقِيقِيَّة فِي السِّلْم قَبْلَ السَّيْف فِي الْحَرْب، فَالشَّاعِر فِي سِيَاق جَدَلِيَّة السِّلْم يُقِيم تَوَازُنًا مَوْضُوعِيًّا بَيْن تَمْجِيد الْبُطُولَة وَالْحَرْب, وَيَرَى السِّلْم الْحَقِيقِيّ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِر الْقُوَّة وَالْحِكْمَة.

وَيُمَجِّد الشَّاعِر قِيم السِّلْم وَيَدْعُو إِلَيْهَا بِالتَّوَازُنِ بَيْنَ الشِّدَّة وَاللِّين، وَبَيْن الْفَخْر وَالأعراف الْإِنْسَانِيَّة فِي تَحَوُّل مَقْصُود للرُّؤْيَة مِنْ الْمُوَاجَهَة الْمُبَاشِرَة إِلَى الْمُصَالَحَة انْسِجَامًا مَعَ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّة الْعَرَبِيَّة الْأَصِيلَة الَّتِي تمجد الشَّجَاعَة وَتَحُثُّ عَلَيْهَا، فِي قَوْلِه[٧:ص١٩٨]: (بحر الْبَسِيط)

قَالَتْ عِدَاتك لِمَا عِيل صَبْرهُمْ لَا كَيْد أَنْفَذُ مِنْ إِقْبَالِه فِينَا
بِيُمْنِ جَدّك لَا بِالْجَيْشِ تَهْزِمُنَا وَبِالسِّعَادَة لَا بِالْخَيْلِ تَغْزُونَا
أَصْبَحْت أَرْحَم أَرْحَامًا بِمَضْيَعَة وَكُنْتَ قِدْمًا عَلَى الْأَرْحَام مَأْمُونًا
بَلَغ بَلَغْتَ مَلَامًا أَوْ مُعَاتَبَة أَخًا بِفَارِس نَرْمِيه وَيَرْمِينا

يَعْتَقِدُ الشَّاعِرُ أَنَّ السِّلْمَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْحَيَاة وَالْوُجُود، وَالْحَرْب حَدَث طَارِئ، وَلَيْسَتْ غَايَة وَطَمُوحا مَنْشُودا، فَالنَّصْرُ لَا يَكُونُ بِالْقُوَّة الْمَادِّيَّة وَحْدَهَا(جَيْش أَوْ خَيْل أَوْ سِلَاح)، بَلْ بِالْعَزِيمَة وَالْإِيمَان وَالْعَطَاء وَصِدق النِّيَّة، فَيَتَحَوَّل مَعْنَى الْقُوَّة وَالشِّدَّة إِلَى قُوَّة مَعْنَوِيَّة ذَاتِيَّة لَا عُدْوَانِيَّة قِتَالِية، لِيُدْرِكَ مَعَ الشَّاعِر أَن التَّفَوُّق الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ فِي الْحَرْبِ وَالْقِتَال وَإِرَاقَة الدِّمَاء، بَلْ فِي تكْرِيس الْأَخْلَاق وَتَثْبِيت قِيَم السِّلْم الَّتِي تَتَجَاوَزُ الْمَوْت وَالْقَتْل وَالدَّمَار لِنَفْهَم

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

دَلَالَات التَّحَوُّل مِنْ الْقَسْوَة وَالصَّلَابَة وَالضَّيَاع فِي الْحَرْب إِلَى الرَّحْمَة وَاللِّين فِي السِّلْم، فَهُوَ إِعْلَان ضِمْنِيّ عَنْ مِيُول فِطْرِيَّة نَحْوَ السَّلَام بَعْدَ تَجْرِبَة الصِّرَاع الْمَرِيرَة. وَيُشِير الشَّاعِرُ إِلَى طَرَفَيْ النِّزَاعُ فِي النَّصِّ الشِّعْرِيّ بِقَوْلِه:(نَرْمِيه وَيَرْمِينا)، أَيْ اعْتِرَاف مُشْتَرَك بِالْمُعَانَاة الَّتِي تَفْتَحُ بَاب الْمُصَالَحَة وَالتَّوَافُق وَالِانْسِجَام، فَالسِّلْم لَيْس اسْتِسْلَامًا وَإِعْلَانًا لِلْهَزِيمَة بَلْ هُوَ وَعْي فِكْرِي وَجَوْهَرِيّ بِمُعَانَاة الْحَرْب وَوَيْلَاتِهَا.

وَتَكْمُن جَدَلِيَّة السِّلْمُ فِي الِانْتِقَال مِنْ الْإِقْدَام وَالْبَاس إِلَى السِّلَام وَالْأَمَان، وَهُوَ تَحَوُّل إِيجَابِيّ مِنْ الْخَارِج (الْقِتَال) إِلَى الدَّاخِل(الضَّمِير الْإِنْسَانِيّ)، فَالشَّاعِر يُدْرِكُ أَنَّ الْقُوَّة الْحَقِيقِيَّة فِي ضَبْط النَّفْس وَالْعَفْو وَالْمُسَامَحَة "لِأَنَّهَا قِيمَةٌ أَخْلَاقِيَّة مُتَنَامِيَة تَتَجَسَّدُ فِي الْمُرُوءَة وَالْبُطُولَة بِوَصْفِهَا قِيمًا مَعْنَوِيَّة وَجَمَالِيَّة مُتَحَقِّقَة فِي الْآخَر الَّذِي يَمْتَلِكُ مُقَوِّمَات الْحَيَاة وَالْحَرَكَة وَالْوُجُود"[١٧:ص١٥٢]، لَا فِي إِرَاقَة الدِّمَاء وَإِشْهَار السِّلَاح وَإِعْلَان الْحَرْب. وَيُظْهِرُ الشَّاعِر (الْكَرَم وَالسَّخَاء والوفاء) قِيمًا إِنْسَانِيَّة حَقِيقِيَّة لِلسِّلْم، مُقَابِل قِيَم الْقُوَّة وَالْمَنَعَة(الْحَرْب)، وَيُرْبَط بَيْنَ الْفَضِيلَتَيْنِ بِوَصْفِهِمَا وَجْهَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، إِذْ يَقُولُ[٧:ص٤٠٣]: (بَحْر الطَّوِيل)

فَتًى	شُغِفَتْ	أَمْوَالِه	بِنَوَالِه	كَمَا	شُغِفَتْ	أَسْيَافِه	بِالْكَوَاهِل
كَرِيم	إِذَا	مَا	الْغَيْثُ	ضَنّ	بِصَوبِه	تَهلَّلَ	غَمر	مِنْ	نَدَاهُ	بِوَابِل
إِذَا	مَا	اسْتَجَارَ	الْخَائِفُون	بِعَزكم	عُدْت	لَهُمُ	أَسْوَاطِكُمْ	كَالْمعَاقِل
مَطَاعِينَ	ضِرَابون	عَيْن	الْأَسَافِل	مَطَاعِيم	وَهَّابون	غَيْرَ	الطَّوَائِل

يَعْقِدُ الشَّاعِر مُقَارَنَةً بَيْنَ الْمَال وَالسَّيْف، فَالْعَطَاء السِّلْمِيّ يَقُومُ عَلَى الْكَرَمِ وَالْإِيثَار، فِي حِين السَّيْف يَرْمُزُ إِلَى الْحَرْب وَالْقُوَّة، وَهَذِه الْمُقَارَنَة تُوحِي أَن الْفَتَى يُؤثِر شَهَامَة السِّلْم وَيُقَدِّمُهَا عَلَى أَوْجَاع الْحَرْب وويلاتها، فَهُوَ فَتَى مُسَالِم كَرِيمٌ إِذَا سَلَّمَ و "مُقَاتِل جُسُور، وَشُجَاع مِقْدَام، وَلَيْس بِمُتَهور وَلَا خَوَّان فَتَاك فِي صِرَاعه مَعَ الْأَعْدَاء/الْخُصُوم؛ إِنَّهُ الْفَاعِلُ الْحَاضِر، وَلَيْس الْغَائِب الْمَأْمُول، أَوْ الْمُنْتَظَر الْمَرْجُوّ. يَظْهَرُ فِي الْوُجُود الْوَاقِعِيّ بِكَيَان حِسِّيٍّ مَنْظُور، وَشَخْصِيَّته حَيَّة، بِوَصْفِه مَرْكَز الْمُشْعة"[١٨:ص٢٩٥]، ثُمَّ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى وَصْف الْفَتَى(بِالْكَرَم)، بِقَوْلِه:(كَرِيم، غَمر، نَدَاه) فَهُو يُعَوِّض النَّاس عَنْ شُحِّ الْمَطَر وَقْتَ الْجَدْب بِكَرَمِه وَعَطَائِه، فَكَرَمه(غَيْث وبُشْرَى خير وفير) يَنْشُر الْحَيَاة وَالْخِصْب والنماء، وَيَحِلّ السِّلْم وَالْأَمَان، فَتَتَجَلَّى قِيَم السِّلْم فِي صُوَر إِنْسَانِيَّة:(الْعَطَاء، وَالْإِغَاثَة، وَالْإِحْسَان) فِي زَمَنِ الشِّدَّة وَالْقَسْوَة، فَالشَّاعِر يَعْكِس صُوَر السِّلْم الْحَقِيقِيَّة بِغِيَاب الْحَرْب بِفِعْلِ الْخَيْر الَّذِي يَهَبُ الْحَيَاة وَالِاسْتِقْرَار الْمَادِّيّ وَالْمَعْنَوِيّ، وَتَحْمِلُ عِبَارَةُ(اسْتَجَار الْخَائِفُون بِعَزكم) دَلَالَة السِّلْم وَالنَّجْدَة، بَيْنَمَا(أَسْوَاطكُمْ كَالْمعَاقِل) تُوحِي بِقُوَّة الرَّدْع وَالدِّفَاع وَالْقِتَال، فَدَوْر الْمَمْدُوح "يَتَجَاوَز حُدُود التَّخْطِيط وَالتَّوْجِيه مِنْ بَعِيد إِلَى الْمُشَارَكَة الْفِعْلِيَّة فِي الْقِتَال مَعَ مَا يَنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ مِنْ اتِّصَال شَخْصِيّ بِجُنُوده، يَعْرِفُهُمْ عَلَى مَا يُسْتَمْتَعُ مِنْ فَضَائِل وَمَزَايَا، قَائِدًا وَمُقَاتِلًا"[١٣:ص١٥٥]. فَالسِّلْمُ يَقُومُ عَلَى حِمَايَة الْمُسْتَجِيرِين وَإِيوَائِهِم بِالْقُوَّة الْحَامِيَة، مَع اسْتِعْدَاد دَائِم لِلدِّفَاع عَنْهُمْ وَالرَّدْع بِالْقُوَّة الَّتِي تَحْمِيهِمْ. وَالْعَدْل الَّذِي يَصُونُهُمْ، فَالشَّاعِر يَعْكِس رُؤْيَة مُتَكَامِلَة تَقُومُ عَلَى تَعَاقُب الْقِيمَتَيْنِ أَوْ تُجَاوِرهمَا: فَالسِّلْم لَيْس ضَعْفًا، بَلْ ثَمَرَةُ الْقُوَّة وَالْمَهَابَة، وَالْحَرْب لَيْسَتْ عُدْوَانًا مُعْلَنًا بَلْ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وَسيلةٌ للْحمايَة وتَحقيق الْعَدْل وإقْرَار الْكَرَامَة الْإنْسَانيَّة. وفي ضَوْء هَذه الْجَدَليَّة تَتَشَكَّل صُورَة وَاضحَة للْفَارس الْعَرَبيّ الْمثَاليّ الَّذي يَجْمَعُ بَيْنَ السَّيْف وَالْكَرْم وَالْمَنَعَة وَالرَّحْمَة وَالشِّدَّة وَاللِّين.

وَصوَّرَ الشَّاعر مَلَامح جَدَليَّة السِّلْم في سيَاقهَا الْعَرَبيّ الْأَصيل المعروف، إذْ تَجْتَمع صفَات الْكَرَم وَالْمُرُوءَة وَحمَايَة الْجَار مَعَ مَفْهُوم السِّلْم بوَصْفه فعْلًا منشودًا ومَحْمُودًا، في قَوْله[٧:ص٥٠٥]:

(مَجْزُوء الْكَامل)

كُنْتَ الَّذي تَأْوي إليـ ـــــة قُلُوب قَيْسٍ في الثَّرائر
وَلَقَدْ حَمَيْت ذمَار شَيْـ ـــــبَانَ بنّ ثَعْلَبَة الْمَغَاوَر
إذ جَاوَروك فَكُنْت أَكـ ـــــرَمّ منْ يُجَاوِرُه مُجَاوِر
وَضَمَمْت جَانبَهم كَمَا انْـ ـــــضمَّتْ عَلَى الْكَسْرِ الْجَبَائِر
وَأُجْرَتُهُمْ وَالدَّهْر بَالُـ ـــــأَقْوَامِ مُنْتَقَض المَرَائِر

يُخَاطبُ الشَّاعر ابْن نُبَاتَة السَّعْدي الْأَمير شهَاب الدَّوْلَة رَافع بْن مُحَمَّد الْعُقَيْليّ(ت٤٠٦ه)، ويَصفُه بأَنَّه مَلَاذٌ للْقُلُوب، وَمَصْدَرٌ للْأَمْن وَالاسْتقْرَار النَّفْسيّ وَحَام لجيرَانه منْ بَني شَيْبَان، فَيُبْرز الشَّاعرُ السِّلْم النَّفْسيّ؛ ليُصْبح الْأَمير ملْجَأً رُوحيًّا ومَعْنَويًّا، ومَأْوَى لمَنْ لَا مَأْوَى لَهُ، فَالسِّلْم يتحقق بغيَاب الْحَرْب بَلْ هُوَ في اطْمئْنَان دَاخلي وَثقَة اجْتمَاعيَّة، فَالحمَايَة مُرَادفه للسِّلْم؛ لأَنَّ الدِّفَاع عَنْ الْجَار وَمَنَع الْعُدْوَان عنه يُحَقِّق الْأَمْن وَالاسْتقْرَار والعيش الكريم، أَيْ السِّلْم الْوقَائعي، فَالسِّلْمُ لَا يَعْني الضَّعْف وَالانْكسَار وَالْخذْلَان والهزيمة؛ إنَّمَا هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى حمَايَة الْحُقُوق دُونَ ظُلْمٍ أَوْ تَعَدٍّ، ثُمَّ يَلْجَأ الشَّاعرُ إلَى تَصْوير قيم التَّعَايُش السِّلْميّ بإظْهَار صفَة حُسْن الْجوَار وَالْكَرْم، فيَتَجسد التَّكَامُل في الْعَلَاقَات الْإنْسَانيَّة الْقَائمَة عَلَى الاحْتراَم وَالْإحْسَان مُوَظِّفًا التَّشْبيه الْبَليغ في تَصْوير الْأَمير بـــ(الْجَبيرَة) الَّتي تُوضَعُ عَلَى الْكَسْر لتَثْبيته وتَصْحيح الضَّرَر فيه، فتَكُون(الْجَبيرَة) رَمْزًا للتَّرْميم وَالْإصْلَاح بَعْدَ الْكَسْر وَالتَهَشُّم وَالْخذْلَان فَهي سَلَّم مُجْتَمعي بَعْد تَصَدُّع وَتَهْشم وتفكك، فَيَكُون الْإيوَاء وَالْإجَارَة وَسَط زَمَن الْغَدْر وَالْعَدَاوَة مثَالًا للسِّلْم وَالسَّلَام، إذْ يُقَابل الْقَسْوَة بالرَّحْمَة، فَالأَمير "نَسَق سلطويٌّ، وَالشَّاعرُ يُبَجِّل السُّلْطَة بالنَّسَق الشِّعْريّ الَّذي تَتَشَكَّل به حَرَكيَّة الصُّورَة في الْعَطَاء وَالْقُوَّة، وَالَّذي يَكْسر به الشَّاعر قَوَانين الْمُشَابَهَة الظَّاهرَة، وَيُحَقِّق عَنَاصر الدَّهْشَة وَالْمُفَاجَأَة"[١٨:ص٣١٥]، وينْشُر السَّلَام والأمان في زَمَن تَمْزقُهُ الْأَحْقَاد وَالْكَرَاهيَة؛ فيَتَحَوَّلُ إلَى رَمز للسِّلْم في وَجْه الْحَرْب، وتَكْمن الجَدَليَّةُ في أَنَّ الْمَمْدُوح قَادرٌ ماديًّا ومعنويًّا عَلَى المواجهة وَالْحَرْب والقتال بقَوْله:(حَمَيْت ذمَّارهم) لَكنَّ السِّلْم الْإيجَابيّ أَيْ الْقُوَّة الَّتي تَحْفَظُ الْأَمْن دُون تَعْنيف وقُوَّة يَضْبطُهَا الْعَقْل وَتحل محلها الْمُرُوءَة وَسَط اضْطرَاب الدَّهْر وتَقَلُّبَات الزمان.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المحور الرابع: جَدَلِيَّة السِّلْم وَالْحَرْب (التَّفَاعُل وَالتَّقَابُل)

شَغَلت جَدَلِيَّة السِّلْم وَالْحَرْب الْفِكْرَ الْإِنْسَانِيَّ والعقل البشري منذ القدم, إِذْ ارْتَبَطَ وُجُود الْإِنْسَان وَكَيْنُونَتُه بِصِرَاع مُسْتَمِرّ بَيْنَ مُتَضَادَّيْن/مُتَقَابِلَيْن: جَانِب الْبِنَاء وَالتَّآلُف وَالسِّلْم، وَجَانِب الصِّرَاع والخراب وَالْهَدْم وَالْحَرْب، فَالحَرْب لَيْسَتْ وَاقِعَةً مَادِّيَّة حَقِيقِيَّة مَحْسُوسَة تُخَاض بِالسُّيُوف وَالسِّلَاح وَقوة الْجُيُوش وتُرَاق فِيهَا الدِّمَاءُ، والسِّلْمَ لَيْسَ غِيَابًا حَقِيقِيًّا لِلْقِتَال وَالْحَرْب وَالنِّزَاع، بَلْ هُمَا حَالَتَان مُتَدَاخِلَتَان تَتَبَادَلَان التَّأْثِير وَالتَّأَثُّر فِي جَمِيعِ الْمُجْتَمَعَات وَالثَّقَافَات الإِنْسَانِيَّة فِي كل زمانٍ ومكانٍ عَلَى اخْتِلَاف الْأَجْنَاس وَالقَوْمِيَّات والعادات والتقاليد، وَتَعبرَان فِي كل زمان ومكان عَنْ رُؤْيَة الْإِنْسَان الشَّامِلَة لِذَاته وَلِلْعَالَمِ الْمُحِيط بِه، وَكَانَتْ الْحَرْبُ "جُزْءًا مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ الدِّينِيَّة، فَهُمْ كَانُوا يُدْرِكُون تَمَامًا الْقَضِيَّة الَّتِي يُحَارِبُونَ مِنْ أَجْلِهَا، أَوْ بِلُغَة عَصْرِنَا كَانُوا عَقَائِدِيِّين، وَكَانَتْ الرُّؤْيَةُ أَمَامَهُمْ وَاضِحَةً"[١٤:ص٤٨]. وَقَدْ بَرَزَ هَذَا التَّفَاعُلُ وَالتَّدَاخُل بَيْنَ السِّلْمِ وَالْحَرْبِ فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيّ بِوَصْفِه مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ التَّجْرِبَة الْإِنْسَانِيَّة الْحَقِيقِيَّة، إِذْ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى إِظْهَارِ الْحَرْبِ وَمَا فِيهَا مِنْ فُرُوسِيَّة وَشَجَاعَة وَإِقْدَام، مَصْدَرًا لِلْخَرَابِ وَالدَّمَارِ وَالضَّيَاعِ وَالتَّشَتُّت، لَكِنَّهُ قَدْ يَرَى أَحْيَانًا ضَعْفًا أَوْ تَهَاوُنًا أَوْ خُنُوعًا أَوْ خضوعًا، وَمِنْ هُنَا تَتَجَلَّى الجَدَلِيَّةُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، فَلَا مَعْنَى لِلسِّلْمِ دُونَ وَعْيٍ بِالْحَرْبِ، وَلَا لِلْحَرْبِ دُونَ التَّطَلُّعِ إِلَى السِّلْمِ وقيمه، فَالسِّلْم وَالْحَرْب لَيْسا نَقِيضَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ بَلْ قُوَّتَيْنِ مُتَفَاعِلَتَيْنِ تُسْهِمَانِ فِي تَشْكِيلِ الرُّؤْيَةِ الإِنْسَانِيَّة عِنْدَ الشَّاعِرِ، وَتَتَجَلَّى جَدَلِيَّة السِّلْم وَالْحَرْب عِنْدَ الشَّاعِرِ ابْنِ نَبَاتَة السَّعْدِيّ فِي التَّفَاعُلِ وَالتَّقَابُلِ بَيْنَ نَزْعَة الْفِعْلِ الْحَرْبِيّ وَآثَارِه الْإِنْسَانِيَّة وَنَزْعَة السِّلْم وَمَفْعُولِه عَلَى الْمُجْتَمَعِ، فَنَرَاه يُوَازِنُ بَيْنَ الْمَفْهُومَيْنِ بِلُغَةٍ شِعْرِيَّة وَخِطَابٍ مُبَاشِرٍ يَعْكِسُ وَعْيًا عَمِيقًا بِدَلَالَتِهِمَا فِي النَّصِّ الشِّعْرِيّ، فَيَجْعَلُ شِعْرَه سَاحَةً لِلْجَدَلِيَّةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ الْمَفْهُومَيْنِ يوازن بينهما.

وَيُعَبِّرُ الشَّاعِرُ عَنْ صِرَاعٍ دَاخِلِيّ بَيْنَ الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ، إِذْ يَتَعَرَّضُ الشَّاعِرُ لِلتَّهْدِيدِ بِآلَاتِ الْحَرْبِ(السَّيْف)، فَيَحُولُ الْخَوْفُ السَّلْبِيُّ إِلَى تَفَاؤُلٍ إِيجَابِيّ، وَالْعُنْفُ الحربي إِلَى وَدّ سلمي، فِي قَوْلِه[٧:ص٢٧٧]: (بحر الطَّويل)

رَمَتْنِي رِجَالٌ بِالْوَعِيدِ فَلَيْتَها ... عَلَى الْبُغْضِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تُحَبَّبِ

تَفَاءَلْتُ لِمّا خَوَّفُونِي سُيُوفَهُمْ ... بِمَسْحٍ يَمِينِي فَوْقَ رَأْسِي وَمَنْكِبِي

فَمَنْ مُبْلِغٌ أَفْنَاء خِنْدِف إِنَّنِي ... ذَهَبْتُ مِنْ الْأَخْلَاقِ فِي غَيْرِ مَذْهَبِي

وَإِنِّي مِنحَتُ النَّاسَ مَحْضَ مَوَدَّتِي ... فَمَا مَنَحُونِي غَيْرَ أَهْلٍ وَمَرْحَبِ

يَتَحَرَّكُ الشَّاعِرُ ابن نباتة السعدي فِي فَضَاءٍ مَشْحُونٍ بِالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، لَكِنَّه يُقَابِل الْعُنْف والتهديد بِالسَّلَام النفسي والدَّاخِلِيّ، وَيَتَمَثَّل هَذَا التَّهْدِيدَ بِقَوْلِه:(رَمَتْنِي رِجَال بِالْوَعِيد) وَالْوَعِيدُ رَمْزٌ لِلْحَرْبِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْخُصُومَة، فَكَانَ التَّهْدِيدُ "شَدِيدُ الْوَقْعِ عَلَى النُّفُوسِ، فَكَانَ يُلْهِب حَمِيَّتَهُمْ، وَيَدْفَعهم دَفْعًا إِلَى تَهْدِيد أَشَدّ بِحَرْب أَقْوَى وَأَعْنَف"[٦: ص٢٨٨]، لَكِنْ الشَّاعِرُ لَا يَنْدَفِعُ فِي الرَّدِّ الْعِدَائِيّ، بَلْ يَتَأَسَّفُ عَلَى الْكَرَاهِيَة، لَا رَغْبَةً فِي الانْتِقَامِ، فَالْعنف يُقَابَلُ بِالصَّفْحِ وَالتَّسَامُحِ وَالْبَعْضِ يُجَابِهُ بِتَمَنِّي زَوَالِه. فَتَحَوَّلَتْ السُّيُوف –رَمْز الْحَرْب– إِلَى عَلَامَة لِلسلم، إِذْ يُشْبِه الشَّاعِر تَهْدِيدَهُمْ بِمَسْحِ الْيَدِ عَلَى الرَّأْسِ وَالْمَنْكِب، فَيُصَوِّرهَا كَأَنَّهَا تَحِيَّة وَمَوَدَّة، لَا اعْتِدَاء وتهديد. فَالسُّيُوف(أَدَاه لِلْقِتَال)، وَالْمَسْح بِالْيَدِ(عَلَامَة لِلسِّلْم) وَهُنَا تَكْمُن الْجَدَلِيَّة بَيْنَ السِّلْمِ وَالْحَرْب، فَالشَّاعِر يَتَفَاعل مَعَ الْحَرْبِ لَا مِنْ دَافِعٍ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الْغَضَبِ أَوْ الانفعَال، مؤَكِّدًا أَنَّ السِّلْمَ عِنْدَه مَبْدأ أَخْلَاقِيّ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَقَلُّب الظُّرُوف" فَالْبَطْل الْقَائِدُ أَوْ الْفَارِسُ يَظْهَر بِطُولَاتِه الْفَرْدِيَّةُ وَاسْتِعْرَاض قُدُرَاتِه فِي التَّدْبِيرِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَسَدَادِ الرَّأْيِ فِي التَّخْطِيطِ وَإِدَارَةِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ فِي الْحَرْبِ"[١٦:ص١٤٣-١٤٤]، فَيُصَوِّرُ الشَّاعِرُ تَقْدِيمَه لِلْمَحَبَّةِ، لَكِنَّهُ يَلْقَى الْجَفَاءَ وَالْبُعْدَ، لَكِنَّهُ لَمْ يُبَادِلْهُمْ الْعَدَاءَ، وَهَذَا تُقَابِلٌ إِنْسَانِيٌّ بَيْنَ الْإِحْسَانِ وَالْجَفَاءِ، يَنْتَهِي هَذَا التَّقَابُلُ بِانْتِصَارِ الْمَوْقِفِ السِّلْمِيِّ عَلَى الموقف العدائي الحربي، فَالشَّاعِرُ لَا يُكْتَفَى بِإِدَانَةِ الْحَرْبِ وَنَبْذِهَا، بَلْ يَجْعَلُهَا وَسِيلَةً لِلسَّلَامِ وَغَايَةً مُهِمَّةً لِتَحْقِيقِ الأَمَانِ الْقَائِمِ عَلَى الْخُلُقِ وَالثَّبَاتِ، فَيَنْتَصِرُ الشَّاعِرُ عَلَى الصِّرَاعِ بِالْفَضِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّامِيَةِ لَا بِالسِّلَاحِ وَالْقُوَّةِ وَالقسوة .

وَفِي سِيَاقٍ يَجْمَعُ الشَّاعِرُ فِيهِ بَيْنَ الْهَيْبَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالرَّهْبَةِ وَالْمُرُوءَةِ فِي تَفَاعُلٍ جَدَلِيٍّ بَيْنَ رُمُوزِ الْقُوَّةِ، وَرُمُوزِ الْعَدْلِ، يَقُولُ[٧:ص٢٤١-٢٤٢]: (بَحْرِ الطَّوِيلِ)

سُيُوفُــكَ أَمْضَى فِي النُّفُوسِ مِنْ الرَّدَى	وَخَوْفُكَ أَمْضَى مِنْ سُيُوفِكَ فِي الْعِدَى
وَلَيْلُكَ صُبْحٌ مَا يَحُولُ مِنْ الظُّبَى	وَصُبْحُكَ لَيْلٌ مَا يُضِئُ مِنَ الثَّرَى
وَأَنْتَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا عُرِفَ النَّدَى	وَلَا كَانَتْ الدُّنْيَا وَلَا خُلِقَ الْوَرَى
رَأَيْتَ كَرِيمًا يَأْكُلُ النَّاسُ زَادَهْ	إِذَا سِئِمُوا أَزْوَادَه سَئِمَ الطَّوَى

يَظْهَرُ التَّفَاعُلُ بَيْنَ السِّلْمِ وَالْحَرْبِ فِي الْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ، فَالسَّيْفُ أَدَاةٌ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، لَكِنَّ حُضُورَهُ وَهَيْبَتَه تُغْنِي عَنْ اسْتِعْمَالِه لِلْقِتَالِ، فَتَتَحَقَّقُ الْهَيْمَنَةُ بِالسِّلْمِ وَالسَّلَامِ لَا بِالْقَتْلِ وَالدِّمَاءِ، وَالْخَوْفُ الَّذِي يَسْبِقُ السَّيْفَ قُوَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ تَمْنَعُ الْحَرْبَ قَبْلَ وُقُوعِهَا.

وَيُظْهِرُ الشَّاعِرُ التَّقَابُلَ بَيْنَ(اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ) وَهُوَ تُقَابُلٌ مَعْنَوِيٌّ بَيْنَ الضَّوْءِ وَالظَّلَامِ، وَهَذَا التَّقَابُلُ يَتَلَاشَى فِي الْمُفَارَقَةِ، فَشَخْصِيَّةُ الْمَمْدُوحِ "لَيْسَتْ عَفْوِيَّةً، أَوْ اعْتِبَاطِيَّةً، أَوْ وَهْمِيَّةً طَارِئَةً فِي تَشْكِيلِهَا اللُّغَوِيِّ وَصِيَاغَتِهَا الْمَوْضُوعِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا وُجُودٌ فِي عَالَمٍ بَصَرِيٍّ تَخَلَّلَه عَوَالِمُ وَصُوَرٌ بَصَرِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ أَوْ جُزْئِيَّةً"[١٩:ص٢٩]، فَلَيْلُ الْمَمْدُوحِ مُضِيءٌ كَسَيْفِه اللَّامِعِ، قَاتِمٌ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِه، وَهَذَا التَّنَاقُضُ الْوَاضِحُ يُعَبِّرُ عَنْ وَحْدَةِ الضِّدِّيَّةِ: النُّورِ وَالظَّلَامِ، وَالسِّلْمِ وَالْحَرْبِ، وَالرَّحْمَةِ وَالشِّدَّةِ فِي شَخْصِيَّةِ الْمَمْدُوحِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ الشَّاعِرُ مِنْ وَصْفِ الْقُوَّةِ إِلَى تَجْمِيدِ الْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ وَالسَّخَاءِ؛ فَيَجْعَلُ الْمَمْدُوحَ أَصْلَ الْخَيْرِ وَمَنْبَعَ الْكَرَمِ وَالْجُودِ؛ لِأَنَّهُ حَاصِلُ الْوَعْيِ الشِّعْرِيِّ، وَالْخَيَالِ الْخِصْبِ، بِوَصْفِه شَخْصِيَّةً مَعْنَوِيَّةً يَصْنَعُهَا الْخَيَالُ، أَوْ يُعِيدُ صِيَاغَتَهَا مِنْ جَدِيدٍ فَيَتَحَوَّلُ الْخِطَابُ مِنْ خَوْفٍ مِنَ الْحَرْبِ إِلَى هُدُوءٍ فِي السَّلَامِ وَالْكَرَمِ، فِي حَرَكَةٍ جَدَلِيَّةٍ مَقْصُودَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الرَّدْعِ الْمَادِّيِّ وَالْعَطَاءِ الْمَعْنَوِيِّ، فَالنَّصُّ يَقُومُ عَلَى حَرَكَةٍ جَدَلِيَّةٍ بَيْنَ الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ، فَالْحَرْبُ حَاضِرَةٌ رَمْزِيًّا فِي ذِكْرِ السُّيُوفِ، وَالسِّلْمُ يَكْمُنُ فِي صِفَاتِ النَّدَى وَالْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ لَا يَجْعَلُهَا فِي تَضَادٍّ عَدَائِيٍّ بَلْ فِي تَكَامُلٍ تَفَاعُلِيٍّ وَاعٍ، لِتُصْبِحَ الْحَرْبُ وَسِيلَةً فَعَّالَةً لِرَدْعِ الظُّلْمِ وَرَدِّه وَحِفْظِ السَّلَامِ وَتَأْبِيدِه، وَيُصْبِحُ الْكَرَمُ الْوَجْهَ الْإِنْسَانِيَّ الْمُشْرِقَ بِالْعَطَاءِ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ.

وَيَرْسُمُ الشَّاعِرُ بِلُغَةٍ شِعْرِيَّةٍ لَوْحَةً مُتَوَازِنَةً وَمُتَكَامِلَةً تَجْمَعُ بَيْنَ قُوَّةِ الْمَوْقِفِ الْحَرْبِيِّ وَسَمَاحَةِ الْمَوْقِفِ الْإِنْسَانِيِّ وَيُظْهِرُهَا قُوَّةً تَفَاعُلِيَّةً وَتُقَابُلِيَّةً وَتَكَامُلِيَّةً، إِذْ يَقُولُ[٧:ص٤١٥-٤١٦]: (بَحْرِ الطَّوِيلِ)

تَرَكْتُ وَرَاءَ الْقَلْبِ لَيْلَةً عَرَّسُوا	بِحَرَّانَ عِزِّي فِي الْحَيَاةِ وَمَغْنَمِي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وَأُلْبِسَتْ أَثْوَاب الدَّفِينَة مَاجِدًا إِذَا شَمّ رِيح الظُّلْم لَمْ يَتَظَلَّم
وَشَمٍّ مِنْ الْفِتْيَانِ سَلّوا سُيُوفَهُمْ فَحَلُّوا عَلَيْهَا كُلَّ جِيْد وَمِعْصَم
حَكَمْت فَأُعْطِيتْ الْحُكُومَة فِيهِمْ وَكُنْتُ إِذَا حَكَمْت لَمْ اتِّحَكم

يَهْجُر الشَّاعِر حَيَاته الْخَاصَّة(رَمز السِّلْم وَالرَّاحَة)، لِيُشَارِك فِي مَعْرَكَة الْعِزّ، فَيَظْهَر التَّفَاعُل الْإِيجَابِيّ بَيْنَ السِّلْم الدَّاخِلِيّ(الْعَاطِفَة) وَوَاجِب الْحَرْب(الْكَرَامَة وَالدِّفَاع ضِدّ الظُّلْم) فَيَغْلِب الْوَاجِب عَلَى الرَّغْبَة الانسانية؛ لِيَجْعَل الْحَرْب وَسِيلَة فَاعِلَة وَضَرُورَة حَتْمِيَّة لِحِمَايَة السِّلْم وَالْحِفَاظ عَلَيْه. فَيَصِف الشَّاعِر نَفْسَهُ صَاحِب مُرُوءَة وَعَدَل لَا يَتَأَثَّر بِالظُّلْم وَلَا يَرُدُّهُ بِظُلْم مِثْله، وَيَجعل الْمُرُوءَة "نَمُوذَج الْوِجْدَان الْجَمَاعِيّ الَّذِي يَتَمَثَّل البطَل أَبْعَاده الْإِنْسَانِيَّة، الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِاسْتِجَابَاته الْفِكْرِيَّة وَالْفِعْلِيَّة"[١٥:ص٢٠٦]، فَتَكْمن جَدَلِيَّة التَّفَاعُل وَالتقابل بَيْنَ الشِّدَّة وَالرَّحْمَة: فَالْمجد لَا يَقُوم عَلَى الْبَطْش بَلْ عَلَى الْقُدْرَة الْمَقْرُونَة بِالْعَدْل، وَقَدْ اسْتَحْضَرَ الشَّاعِر السَّيْف لِلدِّفَاع فَهُو زِينَة فِي أَيْدِي الْمُقَاتِلِين الْأَبْطَال لَا رَمْزًا لِلاعْتِدَاء وَالحرب وَالقتال؛ فَيَجْمَعُ بَيْنَ جَمَال السَّيْف وَحُضُوره وَهَيْبَته وَمَكَانَته الْقِتَالِيَة الْفَتَّاكَة، فَهُوَ لَيْسَ أَدَاة لِلْحَرْب فقط، بَلْ قِيمَة جمالية ورَمْزًا لِلْعِزَة وَالْكَرَامَة وَالْحِمَايَة، فَالتَّقَابُل بَيْنَ(السَّيْف) و(الْجِيد وَالْمِعْصَم) رُمُوز الزِّينَة وَالسِّلْم يَصْنَع تَفَاعُلًا جَمَالِيًّا دَلَالِيًّا بَيْنَ الْحَرْب وَالسِّلْم؛ إِذْ يَكْشِفُ عَنْ وَعْيٍ حِسِّيّ, وَإِدْرَاك مَعْنَوِيّ بِأَن الْحَرْب لَا تُحْمَدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ شَرِيفَة الْغَايَة نَبِيلَة النِّيَّة. ثُمَّ يَصِلُ الشَّاعِرُ إِلَى ذُرْوَة السِّلْم؛ فَبَعْد الْحَرْب وَالْقِتَال يَأْتِي الْعَدْل وَالْإِنْصَاف وَالْعَقْل؛ فَالشَّاعِر عِنْدَمَا مَارَسَ السُّلْطَة وَالْحُكْم لَمْ يَكُنْ مُتَّجبرا طَاغِيًا بَلْ كَانَ عَادِلًا مُتَوَازِنَا وَمُتزنا، إِذْ يَتَحَقَّقُ التَّحَوُّل الْجَدَلِيّ مِنْ الْقُوَّة وَالْبَأْس إِلَى الْحِكْمَة وَالْعَدْل، وَمِنْ الْحَرْب وَالدَّمَار والخراب إِلَى السِّلْم وَالْأَمَان والاستقرار، فَالشَّاعِر يَنْتَصِر لِلسِّلْم لَا بِنَفْيِ الْحَرْب الْحَقِيقِيَّة وَإِبْطَالِهَا؛ وَلَكِنْ بِجَعْلِهَا خَاضِعَة لِلْأَخْلَاق وَالْعَقْل السَّلِيم، فَيَكُونُ السَّيْفُ فِي خِدْمَة السِّلْم وَتَحْقِيق الْعَدَالَة، لَا الْعَدَالَة فِي خِدْمَة السَّيْف.

وَيُقَدِّم الشَّاعِر جَدَلِيَّة التَّنَاقُض بَيْنَ الْهُدُوء السَّاكِن وَالِاضْطِرَاب الْحَرَكِيّ، وَبَيْنَ السَّلَام الْمُؤَقَّت وَالْحَرْب الْحَتْمِيَّة بِتَعَاقُب الأَجْيَال، فِي قَوْله[٧:ص٤٣٥]:(بحر الْكَامِل)

مَا زَالَ فِي جُلِّ الْأُمُور مُسْامِيًا حَتَّى سما فِي الْجَدْع غَيْرُ مَسَامِ
وَلَهَا إِلَى الأَجْيَال يَوْما عَوْده يَذَر السَّلَام وَهُنَّ غَيْرُ سِلَامِ
حَتَّى تَلَفَ سُهُولهَا وَحَزُونهَا لَهَبٌ مِنْ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَام

يُشِيرُ الشَّاعِرُ ابن نباتة السعدي إِلَى رِفْعَة مُتَّصِلَة، وَثَبَات فِي الْمَجْد وَالْعِزّ وَالشُّمُوخ، فَالْمَسْامَاة تَكُونُ رَمْزًا لِلسِّلْم الدَّاخِلِيّ وَالْكَرَامَة الْمُسْتَقِرَّة، فَالْقَائِد يَسْمُو فَوْق الأَحْقَاد وَصَغَائِر الْأُمُور، فَتَكْمن مَرْحَلَة السِّلْم وَالازْدِهَار، فَجَعَلَ الشَّاعِر الْمَمْدُوح "شَخْصِيَّة وَاقِعِيَّة لَهَا وُجُودٌ تَارِيخِيّ مُتَحَرِّك فِي الْمُجْتَمَع، أَنْتَجَتْ أَفْعَالًا مَرْئِيَّة تَحَوَّلَتْ بِوَعْي الشَّاعِر وَكَفَاءَته اللُّغَوِيَّة إِلَى مَوْضُوع شِعْرِي، لَهُ قِيمَةٌ جَمَالِيَّة تَصْوِيرِيَّة"[١٩:ص٣٠]، فَتَكُون الْقُوَّة مُتَوَازِنَة بِالْحِكْمَة وَالْعَدْل، ثُمَّ يُفَاجِئنَا الشَّاعِرُ بِالِانْقِلَاب الْجَدَلِيّ وَعَوْدَة الْحَرْب وَالْقِتَال بَعْدَ السَّلَام، فَيَخْتَفِي السِّلْم الظَّاهِرِيّ، وَيَظْهَر التَّوَتُّر الدَّاخِلِيّ الَّذِي يَنْقَلِبُ إِلَى حَرْب فَعَلِيَّة مُعْلِنَة بِقَوْلِه:(فَيَذَر السَّلَامَ) أَيْ يَتْرُكُهُ وَيبددهُ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ الَّذِي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تَعيشُه الأَجْيَال لَيْسَ سَلَامًا حَقِيقِيًّا وَاقِعِيًّا، بَلْ سُكُونًا مُؤَقَّتًا أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالْهُدْنَة الْمُؤَقَّتَة؛ فَيَظْهَر التَّفَاعُل بَيْنَ السُّكُون الْآنِيّ وَالْحَرَكَة الْمُسْتَمِرّة، وَظَاهِر السِّلْم وَبَاطِن الْحَرْب. ثُمَّ تَتَجَسَّد الْحَرْب فِي صُورَة كَامِلَة الِاشْتِعَال، فَتَتَحَوَّل الْأَرْض –سُهُولهَا وَجِبَالهَا– إِلَى رَمَز لِلْحَرْبِ وَنَار مُتَأَجِّجَة مِنْ صَهِيل الْخَيْل وَإِيقَاد السُّرُوج, وَتَمَثِّلُ هَذِه الصُّورَة ذُرْوَة الْجَدَلِيَّة، إِذْ تَبْلُغ الْحَرْب شِدَّتهَا وَقُوَّتهَا بَعْد فَتَرَات الْهُدُوء الزَّائِف الزَّائِل، فَالتَّقَابُل فِي النَّصِّ لَيْسَ بَيْنَ ضَعْف وَقُوَّة، بَلْ بَيْنَ سِلْم حَقِيقِيٍّ قَائِم عَلَى أَسَاس الْعَدْل وَالْإِنْصَاف، وَسِلْم هَشّ يُولِّد الْحَرْب وَالِانْفِجَار.

الْخَاتِمَة:

تَقُوم فِكْرَة الْجَدَلِيَّة عَلَى الصِّرَاع الْقَائِم بَيْنَ اتِّجَاهَيْن مُخْتَلِفَيْن فِي الْفِكْرَة وَالْمَفْهُوم وَالرُّؤْيَة وَالِاتِّجَاه، فَيَكُون التَّنَاقُض الْأَسَاس الَّذِي تُبْنَى عَلَيْه الْجَدَلِيَّة فِي الْفِكْر وَالْمَنْطِق وَالْأَدَب. وَالشَّاعِر ابْن نباتَة السَّعْدِيّ(ت٤٠٥ه) شَاعِر عِرَاقِيٌّ مِنْ شُعَرَاء الْعَصْر الْعَبَّاسِيّ عَكَسَ بِوُضُوح وَوَعْي وَإِدْرَاك جَدَلِيَّة السِّلْم وَالْحَرْب فِي شِعْرِه، وَبَيَّنَ أَثَرهَا فِي حَيَاة الْفَرْد دَاخِل الْمُجْتَمَع فَضْلًا عَنْ الْمُجْتَمَع بِأَكْمَلِه، وَأَظْهَرَ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ السِّلْمُ قِيمَة حَضَارِيَّة وَأَسَاسِيَّة لِبِنَاء الْفَرْد دَاخِل الْمُجْتَمَع الْإِنْسَانِيّ وَصَوَّرَ مُظَاهِر الْحَرْب وَالاتِهَا، وَأَظْهَرَ مَفَاهِيم الشَّجَاعَة وَالْبَسَالَة، مُصَوِّرًا قِيَم الْمُرُوءَة وَالشَّهَامَة وَالْكَرَم وَالْعَطَاء، وَقَدَّمَهَا بِرُؤْيَة مَوْضُوعِيَّة وَاضِحَة وَسِيَاقَات لُغَوِيَّة متناسقة عَكَسَتْ صُورَة واضحة للمُجْتَمَع فِي الْقَرْن الرَّابِع لِلْهِجْرَة، وَأَبْرَزَ أَنَّ الْحَرْبَ الحقيقية لَيْسَتْ قِتَالًا وَدِمَاء فَقَطْ، بَلْ هِيَ اسْتِعْرَاض لِلشَّجَاعَة وَالْوَفَاء وَالْكَرَامَة وَالْعِزَّة وَكَشَفَ عَنْ تَدَاخُل السِّلْم وَالْحَرْب، فَلَا وُجُودَ لِأَحَدِهِمَا بِمَعْزِل عَنْ الْآخَر فِي التَّجْرِبَة الْإِنْسَانِيَّة وَالشِّعْرِيَّة، مُوَظِّفًا الرُّمُوز الشِّعْرِيَّة وَتِقَانَات الْحَرْب؛ لِإِظْهَار جَدَلِيَّة السِّلْم وَالْحَرْب بِحِسٍّ فَنِّيٍّ وَجَمَالِيٍّ إِبداعي يعكسُ التَّوَازُن الْقَائِم بَيْنَ النِّزَاع وَالسَّلَام؛ إِذْ يُقَدِّمُ الشَّاعِرُ رُؤْيَةً عَمِيقَةً وَوَاضِحَةً لِلصِّرَاع الْأَخْلَاقِيّ وَالِاجْتِمَاعِيّ عَنْ تَأْثِير الحَرْب وَالسَّلَام فِي الْفِكْر وَالْمُجْتَمَع وَالْعَقِيدَة مَع تَوْظِيف الْأَسَالِيب اللغوية والْبَلَاغِيَّة؛ لِتَقْوِيَة مَعَانِي الْجَدَلِيَّة وَإِبْرَاز أَثَرهَا الادبي والْفَنِّي وَالِاجْتِمَاعِيّ فِي النَّصِّ الشِّعْرِيّ وَفِي وَعْي القارئ والمُتَلَقِّي.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤١٤ه.
[٢] مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.
[٣] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، ١٩٨٢م.
[٤] كانط، ايما نويل، نقد العقل المحض، ترجمة: مجموعة مترجمين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٢٠٠٩م.
[٥] الهرفي، محمد علي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٣، ١٩٨٠م.
[٦] الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٧] الطائي، عبد الأمير مهدي حبيب، تحقيق ودراسة ديوان ابن نباتة السعدي، دار الحرية للطباعة، بغداد،١٣٩٧ه-١٩٧٧م.

[٨] ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

[٩] ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧ه – ١٩٨٦م.

[١٠] عبد الحي، أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م.

[١١] القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطابع كوستا توماس وشركاه، القاهرة، ١٣٨٣ه-١٩٦٣م.

[١٢] الدقاق، عمر، أصداء حطين وصلاح الدين في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، ١٩٩٢م.

[١٣] إبراهيم، محمود، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير للنشر، عمان– الأردن، ط٢، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.

[١٤] زهران، عبدالعزيز، السلم والحرب في الاسلام، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٣٩٤ه – ١٩٧٤م.

[١٥] اليوزبكي، مؤيد، البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط١، ٢٠٠٨م.

[١٦] عباس، شادان جميل، البطل في الشعر الأُموي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١، ١٤٣٩ه – ٢٠١٨م.

[١٧] أحمد، شريف بشير، الطبيعة (جماليات الرؤية والتشكيل) في الشعر الموصلي في القرن الثاني عشر للهجرة، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م.

[١٨] أحمد، شريف بشير، الشعر العراقي في العصر(الوسيط والعثماني) حيوية الرؤية والمصطلح، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٢١م.

[١٩] أحمد، شريف بشير، الصورة البصرية والرؤية الموضوعية قراءة تناصية في شعر شهاب الدين الموسوي، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠٢٢م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq